

المحنة

* السنة الثالثة *

* الجزء الثاني *

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

* الاسكندرية — سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١ — جماد اول ١٣١٩ *



الفيلسوف ارنست رنان

مشاهير المنقذين والمناشرين

الفيلسوف ارنت رنان

✽ المؤرخ المستشرق الشهير ✽

مؤلف كتاب تاريخ المسح

✽ خلاصة هذا الكتاب ✽

طريقتان مغالغان . الاضطهاد الديني في اوربا وروسيا . ترجمة زعيم من زعماء الافكار المقاومة لرجال الدين . تلخيص كتاب تاريخ المسح الذي نال مؤلفه من الاضطهاد بسببه اكثر مما نال الفيلسوف تولستوي . ردود المؤلف على معارضيه ومضطهديه
نبوته الدينية

في العالم الآن حركتان شديدتان الاولى اسلامية والثانية مسيحية . اما الحركة الاسلامية فهي قيام المسلمين في جميع اقطار الارض ودعوتهم انفسهم الى اصلاح شؤونهم بواسطة الدين . واما الحركة المسيحية فهي قيام فئات من المسيحيين في اكثر اقطار الارض ودعوتهم انفسهم الى تقييد سلطة رجال الدين وحصر وظيفتهم في اماكن العبادة . فكان كل واحد من الفريقين يطالب صلاح الحال من الطريق التي ينكرها صاحبه

واذا كانت الطريقة الاسلامية لم تُصب اصحابها بضرر عاجل فان الطريقة المسيحية قد اصاب اصحابها بضرر عظيم . فان العامة في البرتغال واسبانيا وبلجيكا وفرنسا وروسيا قد اكثروا من اضطهاد رجال الدين والسطو عليهم واهانتهم في هذين العالمين وهو مما لا يليق بالامم المتقدمة التي تحترم الحرية الشخصية . ولقد كانت فرنسا في جملة من امتازوا في هذه الحيلة لانها وطن الكتاب والفلاسفة الذين ناصبوا رجال الدين ووقفهم عند حدودهم كغولبير ورسو وديدرو ورنان . وكان اشد وطأة الاول والاخير . فاذا

فصلنا ترجمة احدهما رنان وذكرنا لمّا من فلسفته وآرائه كذا كمن يبحث في موضوع من مواضع الحوادث المحلية في الكرة الارضية

* تاريخ حياته * ولد « ارست رنان » في « نرجيه » من اعمال فرنسا في ٢٧ فبراير من عام ١٨٢٦ . وكان ابوه رباناً لاحدى السفن التجارية وهو من مقاطعة بريتونيا . واما امه فانها كانت غاسكونية ولذلك كثيراً ما قال رنان عن نفسه ان هذا المزج بين البريتونية والغاسكونية انشأ فيه من جهة الاول قوة النصور والتامل ومن جهة الثاني قوة الصبر على الحياة والارتياح الى المعيشة كيفما كانت

وقد توفي ابو رنان وعمره خمس سنوات فرثته امه بمساعدة بعض الكهنة وهي تنوي ادخاله في سلك الاكليروس . فلتقى رنان دروسه الابتدائية في دير اكليريكي في بلده وقد مال في صغره الى الدخول في هذا السلك رغبة في الانقطاع الى العلم والفضيلة . وبقي على هذه الرغبة حتى بلغ السنة الخامسة عشرة من العمر فانقل الى دير سان نيقولا في شاردونيه لانتمام دروسه فتغيرت افكاره هناك لما كان يحده حوله احياناً من قلة الاحترام للمساائل الدينية كما قال المسيو برتواو الذي تعتمد عليه في هذه الفذلكة . ومنذ هذا الحين تزعزع ايمانه . ثم انتقل في سنة ١٨٤٢ الى دير ايسي ليتلقن الفلسفة فطالع هناك مؤلفات الفيلسوفين الالمانيين هجل وهردر فاجهزت هذه المطالعة على ايمانه وصار يرى حياة العالم عبارة عن نمو باطني للكون كما ان نمو الشجرة وحياتها انما هو عبارة عن نموها الباطني . وفي سنة ١٨٤٤ اخذ يدرس اللغات الشرقية فما تعمق فيها حتى صار يعتقد انه لا يمكن ان تكون التوراة كتاباً منزلاً وذلك لما رآه فيها من الاغلاط التاريخية . فعدل منذ هذا الحين عن الانخراط في السلك الاكليريكي واقام حينئذ في نفسه نزاع شديد بين النذر الذي نذره من الانخراط في هذا السلك وبين ما حسبه حقيقة . وكانت له اخت تدعى هنرييت رنان وكانت سامية المدارك قوية العقل وهي اكبر سنّاً منه باثنتي عشرة سنة فاخذت تحمّد ثورة فكر اخيها وتهوّن عليه قطع ما كان بينه وبين رجال الاكليروس من الصلات . وزار رنان في ذات يوم صديقه الفيلسوف جول سيمون وهو لابس الالباس الاكليريكي واطلمه على ما قام في نفسه من ترك الاعتقاد القديم والمعدل عن الانخراط في سلك رجال الدين . قال جول سيمون في بعض كتبه . وقد بذلت جهدي في اثناء رنان عن عزمه فكان يجيبني انه لا يستطيع ذلك لان الطائر الذي كان في نفسه

قد طار منها . وهكذا نبذ رنان نذره وخلع الثوب الاكليريكي ولكن رنان لم يخلع الثوب الاكليريكي حتى لبس ثوب الضجر من الحياة والياس من الوجود لانه لم يكن يجد لها غرضاً . ولا غربة في ذلك فان الحالة التي بلغتها نفسه قد البسته هذا الثوب المملو، حسكاً وشوكاً . فمن حسن حظه تعرف في المدرسة التي كان يدرس فيها بشاب يدعى برتلو وهو المسيو برتلو الكباوي الفرنسي المشهور الذي جعل في هذا العام عضواً للاكاديمية الفرنسية وكان من قبل وزيراً للشؤون الخارجية الفرنسية . فعقد رنان مع هذا الشاب صداقة قوية العرى . وكان برتلو منصرفاً الى العلم المادي او الوضعي فاثرت معاشرته وافكاره في رنان تأثيراً شديداً فصار رنان يعتقد اعتقاده في نفع العلم وقدرته على اصلاح الهيئة الاجتماعية وتحسين احوال البشر . فصرف افكاره مثله الى العلم قياماً بهذه الخدمة فكان برتلوبت فيه روح دين جديد . فاخذ رنان منذ ذلك الحين بالاشتغال بالعلم وصار حينئذ يجد للحياة غرضاً ومقصداً

ففي سنة ١٨٤٨ قدم لجمعية الفنون كتابه المعنون « تاريخ اللغات السامية » فطارت به شهرة رنان وُعدَّ مستشرقاً عظيماً . ثم كتب في سنة ١٨٤٩ كتابه « مستقبل العلم » غير ان هذا الكتاب لم يُنشر الا في سنة ١٨٩٠ . وكان من اقواله في هذين الكتابين ان العالم يخون نفسه من نفسه وهو سائر الى الكمال سيرة تدريجياً . وما هو ذلك الكمال ؟ هو قوة الفكر والفضيلة وطلب الحقيقة والخير لذاتها . فعلى العلماء والفلاسفة الذين هم نخبة الانسانية ان يبذلوا قصارى جهدهم في تعليم الحقيقة للناس ورنع باقي الانسانية اليهم فان هذا الامر مطلوب منهم كما هو مطلوب من رجال الدين . ومن يقوم به منهم فان عمله يكون عبارة عن صلاة او افضل منها

وفي سنة ١٨٤٩ عُهد الى رنان ب مهمة علمية في ايطاليا فسار اليها وشاهد عظام فنونها الجميلة فتشربت نفسه حب الجمال . وفي عام ١٨٥٣ نشر كتابه « ابن رشد ومبادئه » وموضوعه اثبات ان الاضطهاد الديني هو الذي اوقف في الاندلس والعالم الاسلامي مسير التقدم ومنع الارتقاء العلمي والفلسفي الذي كان قريب الحدوث فيها . وكان غرضه من هذا ان يُظهر للحكومات الاوربية والسلطات الدينية ما ينشأ عن اضطهاد الدين للعلم ليكون عبرة لها فلا تضطهد العلم في اوربا فيحل بها ما حلّ بين تقدموها

واقترن رنان في عام ١٨٥٦ بدمه وازل شيفر حفيذة المصور آري شيفر فانتبهت فيه عواطف الحب وانعكست الى نفسه صورة الجمال الانثوي الذي اتخذته رفيقاً له فاحياها

وملاها تصورات وتاملات عذبة . فصار فلم رنان بعد هذا الزواج كأنه قد غُطَّ في كاس
عسل . وقد حدث مثل ذلك لجان جاك روسو بل اشد منه . فانه في بعض ادوار عمره
وهو الدور الذي تشتد فيه زفرقة الطيور وتلمع جناح الفراش في الحقول — اي دور الربيع
الانساني — صار يحس بنار في داخله وبرق في عينيه وجريان في قلبه فاذا كتب خط
سحرًا وابرز تبرًا . وقد كتب في تلك المدة القريبية كتابه « هيلويز الجديدة » وكله
رسائل حبية فلسفية فكان ابغ كتيبه . وبعد ذلك خمدت تلك الثورة وانطفأت تلك النار
فذهبت بذهاها تلك البلاغة التي كانت تنصعد عنها
اما رنان فلم تخمد ناره قبل ابرازه الكتاب الذي طير صيته في جميع اقطار الارض
وجعله اعظم علماء عصره شهرة

وهذا الكتاب هو « تاريخ اصل الديانة المسيحية » وهو خمسة اقسام (١) تاريخ حياة
المسيح (٢) تاريخ اعمال الرسل (٣) تاريخ حياة القديس بولس (٤) المسيح الدجال
وكتاب آخر . وكل واحد من هذه الاقسام كتاب ضخيم وامامتنا ان نذكر القسم الاول منه
وهو تاريخ حياة المسيح وعدد صفحاته ٥٤٩ صفحة كبيرة ما عدا مقدماته الطويلة
ولا ريب في ان هذا القسم اهم اقسام الكتاب كله . وقد كتيبه رنان في سياحة له في
فلسطين وسوريا ولبنان بين سنة ١٨٦٠ و١٨٦١ وكان مرسلاً اليها للتنقيب عن آثار
الفينيقيين وله فيها كتاب عنوانه سياحة في فينيقية . وبعد عودته من فينيقية جعل استاذًا
للغات العبرانية والكلدانية والسريانية في مدرسة كوليج دي فرانس . غير انه بينما كان
يولي فيها اول دروسه لقب السيد المسيح في كلامه عنه « بالانسان الذي لا مثيل له »
فقامت في الجلسة قيامة انصار الاكايروس وخصومهم بعض معه وبعض عليه فقررت
الحكومة الامبراطورية الغاء هذا الدرس فترك رنان تلك المدرسة . وقد تلا هذا الحادث
ظهور كتاب تاريخ المسيح في عالم الادب (سنة ١٨٦٣) فانفجرت على مؤلفه ينابيع حارة
وينابيع باردة

اما الينابيع الحارة فانها انفجرت من نفوس جميع رجال الدين ولا سيما الغلاة منهم
وجميع الذين يقدون بهم او يعيشون من ورائهم . فسأله الناس بالسنة حداد وانهاوا
عليه في الجرائد والمجلات بالشتم والسب وحرمة رجال الدين من الكنيسة ولعنوا كل من
يقرأ كتيبه . وقد اتهمه بعض الغلاة بانه ما كتب ذلك الكتاب الا في مقابلة مليوني
فرنك قبضها من بيت روتشيلد الاسرائيلي . ولكن اصدقاء رنان الذين يعرفون محبه المجدد

لنقرر ما يحسبه حقيقة ينفون عنه هذه التهمة السوداء . وسنشير في ما يلي الى الردود التي كان رنان يرد بها على الطاعنين عليه

واما الينايع الباردة فانها انفجرت من نفوس الامرائيليين في جميع اقطار الارض لان ذلك الكتاب يعزو تمدن العالم اليهم ويقول بخروج المسيحية منهم وان كان ثبت ان آدابها العليا لم تشتق من آدابهم . وقد جاراهم في الارتياح الى موضوع هذا الكتاب كل العلماء الماديين في اوربا وكل الكتاب الذين لا يدينون بدين . بل ان بعضاً منهم لام المؤلف وعنفه لانه تساهل في بعض الامور

ثم حدثت الحرب بين فرنسا والمانيا في سنة ١٨٧٠ فكان رنان من كارهيها وقد كتب يومئذ في « مجلة العالمين الفرنسية » مقالة لقب فيها فرنسا والمانيا اختين في المدينة وقال ان من الجناية على التمدن ان نتجاربا . وبعد ما شاهد رنان في هذه الحرب من آثار الهمجية البشرية في ساحة القتال ومن تمرد رجال « الكومون » في باريز وافضاء هذا التمرد الى حرب اهلية بين الفرنسيين جرت فيها الدماء انهاراً ترعزت ثقته بسير العالم الى محجة الكمال وكره الديموقراطية وشؤنها لانها ادت بوطنها الى ذلك الوبال . وصار يرى من الواجب على كل امة ان يكون فيها نخبة من رجال الفضل والعقل لادارة شؤنها بقسط واعتدال فلا يكون للفساد والرشوة من سبيل الى نفوسهم . واخذ يتساءل كثيراً هل ان العقل والعدل يسودان في هذه الارض في مستقبل الزمان ؟ ام يتوصل العلم فقط الى حالة يصبح فيها سواد الناس عاجزين عن الاضرار بكبارهم لما يضعه لهم هولاء الكبار من الشكيمة بواسطة معارفهم العلمية . وقد نشر رنان كتاباً في هذا الموضوع عنوانه « مباحثات فلسفية »

ولكن لما قامت الجمهورية الثالثة بعد حرب السبعين اعادته الى كرسي التعليم في كوليج دي فرانس وجعلته مديراً لهذه المدرسة . وفي سنة ١٨٧٩ عين عضواً للاكاديمية الفرنسية . فعاد رنان ورضي عن الديموقراطية بعض الرضى . وفي سنة ١٨٩٢ اتم نشر كتابه « تاريخ شعب اسرائيل » وهو خمسة اجزاء وصل بها تاريخ المسيح بتاريخ نشأة بني اسرائيل فكان هذان الكتابان تاريخاً شاملاً للعواث الامرائيلية من اولها الى ما بعد انتشار الديانة المسيحية

وقد عمر رنان نحو سبعين عاماً . وكان في آخر ايامه رزينا هادئا مع شيء من التهمك وعدم المبالاة بآراء الناس . وبقي على هذا الهدوء والرزانة مع ما انتابه من المرض

والالم في آخر حياته . وقد قال وهو على فراش الموت « انني اموت سعيداً لانني اتهمت عملي . وما الموت الا ناموس طبيعي فلنخضع لناموس الطبيعة » وكانت وفاته في ٢ اكتوبر من عام ١٨٩٢ وبعد وفاته ابنته جرائد الارض تأييداً متبايناً . فبعضها شيعه بالسب والشتم القبيح وبعضها رأى ان يُترك الحكم على اعماله الى الاجيال القادمة . ولا يزال اسم رنان « برن » في فرنسا الى هذه الايام وقد سماه اصدقاؤه وانصاره « رنان العظيم » . وكذلك سماه المسيو والدكروسو رئيس الوزارة الفرنسية غير مرة في بعض خطبه . اما خصومه فلا يزالون يلعنونه ومما يروى عن رنان وقد رواه نفسه في بعض مؤلفاته ان احد الرهبان كان يرسل اليه في ليلة احدى الاعياد المسيحية الكبرى من كل عام ورقة صغيرة عليها هذه الكلمات « جهنم وجوده » وقد قال رنان بعد ايراده هذا الخبر لقد ظن صديقي الراهب انه يؤلمني بهذا القول وما عرف انني افضل جهنم على « العدم »

ولما زار رنان ايطاليا خرج الناس لاستقباله في زوارقهم فاحاطوا بزورقه واخذوا يصيحون « ليحي العلم ليحي العلم » يريدون بذلك نكابة رجال الدين في الفاتيكان . وكان رنان ساعته يكتب في مذكرته . فكتب فيها هذه العبارة « لا ريب ان الكشلكة تقوضت اركانها في ايطاليا » قالت جريدة الطان بعد نشرها هذا الخبر في الشهر الماضي « لقد اخطأ رنان في هذه النبوة كما اخطأ في غيرها » ولكنها عادت فعقت على ذلك بقولها « ولكن قولنا هذا لا يحطم من شان رنان . فان رنان يبق رنان مهما قيل فيه » ومن اقوال رنان في العسكرية « انني لو اضطرت الى الانتظام في سلك الجندي ولم اقدر على التخلص من ذلك لقتلت نفسي » وقد صدر في فرنسا في الشهر الماضي كتاب عنوانه « سنة في التكنة العسكرية » وموضوعه الطعن على المعيشة الجندي وعلى الجندي نفسها وقد صدره مؤلفه بالعبارة التي تقدم ذكرها تعريزاً لكتابه ولرنان مؤلفات كثيرة غير ما تقدم منها كتاب اصل اللغة . وسفرايوب . ورسائل رنان وبرتلو . وفصول مختلفة وغيرها

* خلاصة كتاب تاريخ المسيح *

(المؤلف اهدى كتابه الى اخته والجامعة تهدي الى اخ)

اما كتاب هذا الفيلسوف « تاريخ حياة المسيح » فاننا لم نقدم على تلخيصه في هذه المقالة (او بالاحرى الاشارة الى بعض اغراض من اهم اغراضه العلمية) الا وفي نيتنا تحاشي ذكر كل ما لا يجب ذكره منه احتراماً لاراء الناس ومعنفاتهم ولا سيما بسطاءهم . وللهي حجب

الينا هذا التلخيص ما عثرنا عليه في هذا الكتاب من الشؤون التاريخية الجليلة التي قطع رنان عمره وهو يبحث عنها . فانه وصف فيه حالة اليهود الاجتماعية والسياسية يوم ظهور السيد المسيح وما تقدم هذا الظهور وتلاه من الحوادث التاريخية المتعلقة بتاريخهم وتاريخ الرومانيين اصحاب السلطان عليهم في ذلك الزمان ووصف الامكنة التي عاش فيها السيد وعلم فيها بعد ان زارها المؤلف بنفسه وكتب هذا الكتاب تحت سمائها . وبعبارة واحدة نقول ان غرضنا تاريخ الوسط الذي عاش فيه السيد . فغرضنا اذاً علمي تاريخي محض واما المسألة الدينية الكبرى فلا دخل لها في هذه المقالة

المهية الى اخته

وقد اهدى المؤلف هذا الكتاب الى اخته « المدموازل هنرييت » التي رافقته في سياحته في سوريا وفلسطين وتوفيت بالحمى في جبيل من اعمال لبنان . وقد صدر ردهيته بالخطاب المؤثر التالي

« الى روح اختي هنرييت الطاهرة »

« التي توفيت في جبيل في ٢٤ سبتمبر من عام ١٨٦١ »

« اذكركن وانت الآن مستريحة في احضان الله تلك الايام الطويلة ايام « غزير » التي كنت فيها واهاك منفردين نكتب صفحات هذا الكتاب الذي كانت توحيه الينا الاماكن التي زرناها معاً . لقد كنت يومئذ جالسة بجانب ساكنة تنتظرين الصفحات التي كنت اكتبها وكلما اتممت صفحة تناولتها وقراها ثم نسختها بعد قراءتها . هكذا كنا نقضي النهار وتحت اقدامنا البحر والقرى والجبال المجاورة . اما في الليل فانك كنت تلقيين عليّ سوالات دقيقة لطيفة كان يظهر فيها شيء من ارتياك فكانت هذه الاسئلة تبعثنا الى الموضوع السامي الذي كان شغلنا الشاغل . وقد قلت لي يوماً انك تحبين هذا الكتاب لاربن الاول لانه كتب في صحتك والثاني لانه كتب على ذوقك . وكنت معتقدة بانه اذا خيف عليه من حكم الرجل الجاهل السريع الحكم الضيق القلب فان كل رجل ذي نفس متمسكة بالدين تمسكاً حقيقياً لا بد ان تقضي به قراءته الى الرضى عنه والمرور به . وبينما كنا منصرفين الى هذه التأملات الحلوة جاء الموت ولطمنا كلينا بجنحه فرفدنا رفاد الحمى في وقت واحد . ثم انتهت فوجدت نفسي وحدي . فانت الآن ترقدين بسلام في ارض ادونيس قرب بيبيلوس المقدسة (جبيل) في جوار المياه المباركة التي كانت تفد

اليها نساء الاديان السرية الماضية ليجزن دموعهن بائنها . فيا ابنتها الروح الصالحة . اوحى اليّ انا الذي كنتُ حبيباً اليك في حياتك تلك الحقائق التي هي اقوى من الموت والتي تُعَلِّمُ الانسان ان لا يحشاه بل التي تعلمه ان يتعناه »

هذا نص هدية المؤلف الى اخته . واذا كان كل كاتب يحق له ان يستفيد بالاحياء الذين له في راحة الابدية فما اخرى الجامعة ان تستفيد ذلك الاستيجاد ايضاً

وقد نسب رنان غير مرة نجاحه الى اخته فكأنه لا ينبغي رجل عظيم حتى يكون بازائه امرأة تدربه وترشده . وقد ذكرنا آنفاً ان اخت رنان هي التي شددت عزائم حين عزم على التخلص من السيادة الاكليريكية وذكر المؤلف في كتاب الهدية الذي تقدم ان اخته كانت مرتاحة الى كتاب تاريخ المسيح الذي كان يكتبه فهذا يدل على ان الميل عن التقاليد الدينية امر وراثي في اسرة رنان لانه فلما سمع مثل ذلك عن النساء لشدة تمسكهن بهذه التقاليد

وقد كتب رنان بعد وفاة اخته كراماً عنوانه « الى اخي هنرييت » لم يُطبع منه في بدء الامر سوى مائة نسخة خصوصية . وهذا الكراس هو ابلاغ ما كتبه رنان على الاطلاق لان الحب الاخوي اجرى من اعماق نفسه اشد ما كان فيها من البلاغة والعذوبة . وقد قال : « وخرج حياته ان اخته هذه هي التي اصلحت قلمه وعلمته ان ينحو منحى البسيط الطبيعي في كتاباته . ولم يكن كذلك قبل ذلك »

المقدمة الاولى

وتلي هذه الهدية المقدمة الاولى للكتاب وقد وضعها المؤلف للطبعة الثالثة عشرة من كتابه . واما النسخة التي امامنا الآن فانها من الطبعة الخامسة والعشرين . فيكون كتابه قد اعيد طبعه ٢٥ مرة حتى هذا العام . وقد ردّ رنان في هذه المقدمة ردّاً مختصراً على معارضيهِ . وهم فئتان . الفئة الاولى منكرو الوحي الذين انكروا عليه الاعتماد على الكتب المقدسة في كتابة تاريخ المسيح لانهم لا يعتقدون صحتها . والفئة الثانية المعتقدون بهذه الكتب بلا بحث ولا جدال وهم رجال الدين ورعيّتهم من المؤمنين . وقد قال في ختام هذه المقدمة ما ملخصه

« اني مسيحي ولكنني لست كباقي المسيحيين . فاني اعترف بوجود ان لا اتكلم عن كنيسة الا برفق ولكن هل ذلك يقضي عليّ بان اغمض عيني عن الحقيقة . وهل ادين

حكومة من الحكومات اذا قلت انها لم تحسن تدبير الاميال المختلفة التي في نفوس الناس او
اهين ديناً من الاديان اذا قلت انه لم يسلم من الاعتراضات الهائلة التي يقيمها العلم في كل
يوم في وجه التعاليم التي من فوق الطبيعة . ان الديانات تسقط الواحدة بعد الاخرى لانها
تخضع للقلب لا للعقل ولانه ليس في العالم قوة قادرة على خنق ذلك العقل

ومع ذلك فاذا تمكن العقل من خنق الديانة فالويل له في ذلك اليوم . صدقوني ان
كرتنا الارضية تعمل في عمل عظيم سيؤدي الى نتيجة عظيمة . فلا تقولوا ان هذا نافع
وهذا غير نافع بل دعوها تعمل فان الطبيعة التي خصت الحيوان بغريزة لا تخطئ لم تضع
في الانسان شيئاً يتخدع . ولا تقولوا ان الاديان تخطئ كلما ارادت اقامة البرهان على
وجود «اللانهاية» وتحديدها والزمع بانها تمثلها فانها اذا كانت تخطئ في ذلك فانها تصيب
جداً كلما اكدت وجودها . واذا مزجت بذلك كثيراً من الاغلاط فليس ذلك بالشيء
المذكور بازاء الحقائق التي تنادي بها . وان ابسط الناس المؤمنين في قلوبهم اكثر
معرفة بحقيقة الاشياء من ذلك المادي الذي يفسر كل شيء في الحياة بالصدفة وفناء المادة»
وغني عن البيان ان المؤلف لم يوجه القول الاخير الا الى الماديين الذين
ينكرون الاديان

المقدمة الثانية

اما المقدمة الثانية فقد تكلم فيها عن المصادر التي استقى منها تاريخ المسيح . وهي خمسة
(١) الاناجيل الاربعة واعمال الرسل والرسائل (٢) الكتب السماة «ابو كريف»
من العهد القديم وهي الكتب التي لا تعتقد الكنيسة صحتها (٣) مؤلفات فيلون الفيلسوف
الاسكندري الذي عاصر المسيح (٤) مؤلفات المؤرخ يوسيفوس المشهور الذي عاصر
المسيح ايضاً (٥) التلمود وهو كتاب اليهود

قال المؤلف . اما مؤلفات الفيلسوف فيلون فانها خير مرشد الى الافكار الدينية التي
كانت تحتلج في نفس الامة اليهودية في ذلك الزمان . ولكن من سوء الحظ ان فيلون
كان يعيش في اقليم غير الاقليم الذي ظهر فيه المسيح وكان عمر فيلون اثنتين وستين
سنة لما بلغ السيد اشدّه وظهر روحه . وكان فيلون شديد الكراهة ايضاً لتعاليم الكتبة
والفرسيسين وقد عاش بعد السيد عشر سنوات على الاقل . فبالها من خسارة ان لا يكون
قد ذهب الى الجليل ونظر السيد فانه لو فعل لكتب عنه ما يكفي ويشفي
واها المؤرخ يوسينوس فانه كان يكتب لليونانيين والرومانيين الذين كانوا اصحاب

السلطة على فلسطين ولذلك لم يكتب باخلاص كما كان يكتب فيلون لثلاثي التهمة على اليهود ابناء وطنه . وقد كتب ما كتبه عن المسيح ويوحنا المعمدان ويهوذا الغولوثي باختصار وغموض فلم يفهم اليونانيون والرومانيون حقيقة الحوادث التي كانت يشرب اليها . قال المؤلف . اما الفقرة التي جاءت في كتابه عن المسيح فانها حقيقة واذا كان يوسيفوس قد كتب عن المسيح فانه لا يكتب الا ما كتب لان ذلك الاسلوب اسلوبه . ولكن القارئ يشتم ان بدأ مسيحية قد اصلحت تلك الفقرة وحذفت منها وزادت عليها شيئاً ولا سيما هذه الكلمة التي جاءت فيها وهي « اذا كان يجوز ان يسمى انساناً » والتي لولاها لكان كلام يوسيفوس شهادة على رجال الدين لا لم . وما يرجح هذا الظن ان المسيحيين في القرون الاولى اتخذوا كتب يوسيفوس تاريخاً رسمياً لحوادث بلادهم فغير غريب ان يكونوا قد نشروا في القرن الثاني للميلاد طبعة منقحة من جميع كتبه . ومهما يكن من الامر فان اهمية هذه الكتب في كتابة هذا التاريخ لا تخفى على احد لان هذا المؤرخ اليهودي يربنا فيها بكثرة تفاصيله هيرودس وهيروديا وانتيباس وفيليبوس وحنانيا وقيافا وبيلاتس كأنهم اشخاص احياء بيننا

ثم تكلم المؤلف عن اسفار الابو كريف وعن الاناجيل والتلمود كما تكلم عن المؤرخين اليهوديين . فقال ان المؤرخ باياس لم يسمع بوجود انجيل يوحنا ولكنه يقول ان الرسول بطرس كتب انجيلاً فاعمله هو . اما متى فلا يجاريه احد في نقل خطب السيد ودقة حفظها كما ان مرقس لا يجاريه احد في دقة نقل الحوادث وتفصيلها بتأكيد وثبات . ثم ردّ المؤلف على الذين لا يعتمدون على الكتب المقدسة فقال ان المسيو سبرنجر كتب تاريخ حياة صاحب الشريعة الاسلامية واعتمد فيها على الحديث النبوي فلماذا لم يعارضه المعارضون فان هذا كذا . واذا قام غداً رجل لكتابة تاريخ الفلسفة اليهودية في القرون التي تقدمت ظهور السيد وتلته ببضعة قرون فهل يعترضون على الكتاب اذا نسب الى الفلاسفة اليهود همل وشاماي وغامليل الاقوال التي ينسبها اليهم كتاب المشنا والجماره مع ان هذين الكتابين لم يكتبتا الا بعد موت اولئك الفلاسفة ببضعة قرون

ثم ردّ على الذين يقولون بالعجائب فانكرها وقال ان الذي يعتقد بها ويروم جعل هذا الاعتقاد قاعدة لمباحثتي ومناظرتي فلا يباحثني ولا يقرأ كتيبي لاننا لا نتفق ابداً . ثم وصل الى المصدر السادس الذي اعتمد عليه في كتابة كتابه فقال هذا القول الذي يعدّ تاريخاً لذلك الكتاب

تاريخ الكتاب

تلك هي القواعد التي بنيت عليها كتابي . ولكني اضفت الى المصادر التي تقدم ذكرها مصدراً جديداً وهو زيارة الاماكن التي حدثت تلك الحوادث فيها فكانت لي نوراً مرشداً . فان البعثة العلمية التي عهدت الي ادارتها بين عام ١٨٦٠ و ١٨٦١ للتفتيش عن آثار فينيقية وارتباد بلادها اوجبت اقامتي مدة على حدود بلاد الجليل والسياحة فيها مراراً . فظنت في هذا الاقليم الانجيلي من كل الجهات وزرت اورشليم وحبرون والسامرة وكل مكان له علاقة بتاريخ المسيح . وقد يجمل للبعيد عن تلك الاماكن ان الحوادث المسيحية الاولى حدثت في فضاء خيالي لا حقيقة له ولكن لما زرت تلك الاماكن تجسست فيها تلك الحوادث امامي تجسماً ادهشي . فقد كان الائتلاف تاماً بين النصوص الانجيلية والاماكن المذكورة . واذ نظرت تلك المناظر الطبيعية الجميلة وقابلت بينها وبين روح الكمال الموصوفة في الانجيل شعرت بانطباق هذه على تلك وحيثئذ احسست كأنّ وجباً اوحى الي . فتاملت فوجدت امامي انجيلاً خامساً مفتوحاً وهو انجيل الطبيعة . فصرت اقرأ فيه ولما كنت انتقل منه الى انجيلي متى ومرقس كنت ارى بين السطور صورة شخص عظيم حي . فلما جاء الصيف صعدت الى غزير في لبنان لاستريح قليلاً وهناك كتبت بسرعة وصف تلك الصورة العظيمة التي ظهرت لي فكان منها هذا التاريخ . ثم نزلت بي مصيبة اليمة اضطرتني الى تعجيل سفري (وفاة اخته) فسافرت ولم يكن باقياً عليّ من هذا الكتاب غير بضع صفحات . فانا اذا قد كتبت هذا التاريخ في مكان قريب من الامكنة التي عاش يسوع فيها . ولما عدت الى بلادي اخذت اصلح واكمل تلك الصفحات التي سطرتها بسرعة في كوخ ماروني دون ان يكون حولي سوى خمسة من الكتب او ستة » وفي ختام المقدمة الثانية ما خلاصته « واذا كان يجب على الكاتب ان يكون ميالاً للموضوع الذي يكتب فيه ليجيد فيه ويحسن في شرحه فان ذلك لا ينقصني . ولا اجهل انه يجب على الذي يتصدى لتاريخ دين من الاديان امران . الاول ان يكون قد آمن به اولاً والا فانه لا ينهم شيئاً من حماسه ولا يدرك ما فيه من مطعونات النفوس ومرضيات الضمير البشري . وثانياً ان يكون قد صار ممن لا يؤمنون به ايماناً مطلقاً من غير شرط ولا قيد لان الايمان المطلق لا ينطبق على العلم والتاريخ لما انه يوجب التسليم والعلم والتاريخ لا يعرفان تسليماً . ولكن الحب قد ينشأ في القلب من غير ايمان . واذا كان الانسان لا يعتقد . باشكال الامور التي تستوجب عند الناس العبادة والايمان فان ذلك لا يمنعه من

الاعجاب بما في تلك الامور من الخير والجمال . اما الالهوية فانها لا تنفذ معها تكرر ظهورها لان الله قد ظهر قبل يسوع المسيح وسيظهر بعده . وظهوره سواء كان كبيراً او صغيراً فانه من طريق واحد وهو ارادته المودعة في الضمير البشري . فليس يسوع اذاً خاصاً بالذين يسمون انفسهم تلامذته ولكنه شرف عام للجميع اي لكل من له قلب انسان . وما عظمته ونجده ان يوضع خارج دائرة التاريخ ولكن ان يوضع في داخلها . وان اصح عبادة نقدم له هي اظهار ان التاريخ البشري غير مفهوم بدونه »

المقدمة الثالثة

وقد جعل المؤلف هذه المقدمة الثالثة تمهيداً للموضوع الكتاب فبحث فيها عن الحركة الدينية في العالم منذ انشائه . فقال ان التمدن القديم الذي نشأ في الصين وبابل ومصر قد رقى الاديان بعض الشيء فان الاديان في مصر وسوريا واشور والدين كانت تحتوي كثيراً من المبادئ الاديية ولكن الاوهام والخرافات كانت كثيرة فيها ولذلك لم يكن ممكناً ان يصدر عنها فكر عظيم . وكيف تصدر الآداب والحريية عن نسل ما فتى ذليلاً مستعبداً منذ وجوده

واما النسل الذي صدر عنه الايمان والحريية والنزاهة والاخلاص وتصورات النفس الغزالية فهو نسل هندو اوروبا والساميين . ويريد بالساميين جميع الشعوب التي كانت تتكلم بلغة من اللغات التي يسمونها سامية (العربية والسريانية والعبرانية والآرامية والكلدانية والاشورية والحمرية) . فمن هذين النسلين (هندو اوروبا والساميين) خرج تمدن العالم واديانه الراقية . اما هندو اوروبا فقد كانت ثمار عقولهم تصورات رقيقة وحناناً وعواطف جدية اي عواطف من الزم لوازم الآداب والدين . ومع ذلك فان الدين لم يخرج منهم لانهم كانوا شديدي التمسك بتقاليدهم الدينية القديمة . وانما خرج من الساميين الذين كان لهم في ذلك فضل عظيم على الانسانية فالذين اعدوا اذاً سبيل الدين للانسانية في العالم هم اولئك البدو الذين كانوا سارحين في بلاد المشرق تحت الخيام والاطناب بعيدين عن فساد العالم واضطراباته . وكان من اخص مزاياهم انكارهم على سوريا اديانها المادية المبنية على اللذة ثم بساطة العبادة لانهم لم يتخذوا هياكل ولا اصناماً . وكان في جملة قبائلهم قبيلة بني اسرائيل ولا يخفى ان هذه القبيلة كانت ذات صلوات قديمة بمصر وقد اقتبست من المصريين اشياء يعسر على التاريخ حصرها وذلك مما زاد في كراهتها للوثنية . فهذه القبيلة تم لها في ذلك الزمان الحصول على «توراة» اي شريعة مكتوبة على الواح حجرية وفيها مبادئ اديية حقيقية وجرائم المساواة الاحتمائية .

وكان لهذه القبيلة شيوخ ممتازون بالمعرفة والشعب يستشيرهم في المسائل المعضلة وكانوا يُدعون انبياء . اما كهنتهم فانهم كانوا يُشبهون الكهنة الذين تقدموهم ولا يمتازون عنهم الا بان الشؤن الكهنوتية عند كل واحد منهم كان مرجعها الى رايه . وكان الانبياء الذين تقدم ذكرهم من حفاظ المبادئ الديموقراطية القديمة التي كانت خاصة بالقبيلة ولذلك كانوا يكرهون كل تنظيم سياسي يُرام ادخاله الى بني اسرائيل لعلهم كباقي الامم التي تليهم هذا فضلاً عن عدائهم للاغنياء . فهولاء الشيوخ كانوا السبب الاصيل في تقدم الشعب اليهودي في الدين على سائر الشعوب . ولكن لما هجمت السلطة الاشورية على ذلك الشعب وسحقته لاصغائه الى نصائح اولئك الشيوخ قام الشيوخ اصلاحاً لخطاهم ينادون بان مملكة يهوذا ستدوم الى الابد وان اورشليم ستكون عاصمة الدنيا كلها . ثم طرأت انقلابات كثيرة على الشعب اليهودي اخصها قيام الدول الكبرى في آسيا بعضها يتلو بعضاً فانقطع امل بني اسرائيل من عودة الملك اليهم فصرفوا نظرهم عن الارض الى السماء وازدادوا تمسكاً بالشؤن الدينية . وقد صاروا حينئذ يرضخون لكل نير يوضع على اعناقهم على شرط ان يحترم وليّ امرهم عاداتهم ودينهم . ومنذ ذلك الحين لم يعد عدواً لهم الا كل من كان عدواً للاله الواحد ولم يعد لهم من وطن ولا شريعة غير الشريعة الدينية

ثم ظهر كتاب دانيال الذي هاج اشجانهم وزاد املهم في قرب قدوم المسيح المنتظر لانقاذهم من ضيقهم . فازدادوا تمسكاً بالشريعة الموسوية وصاروا يقتلون كل من يخالفها . وكلما كانت تُنقل عليهم يد الوثنيين الذين كانوا اولياء امرهم كانوا يزدادون انقطاعاً عن الارض وبوجهون انظارهم الى العالم الثاني . وكان العالم مشغولاً عنهم في ذلك الزمان بحوادثه الكثيرة فلم يلتفت الى ما كان يحدث عندهم . ولكن الامبراطورية الرومانية كانت حديثة النشأة اذ ذاك وقد قامت بعد حروب واسوال فكان الناس يتوقعون للعالم دوراً سلباً في عهدها . واما اليهود فانهم كانوا يتوقعون حينئذ بصبر فارغ قدوم « مسيا » المنتظر وكان كثيرون من مصالحهم يقضون الليالي والايام حول الهيكل صائمين مصليين وهم يسألون الله ان لا يتوفاهم قبل تحقيق آمال شعب اسرائيل . وكان الانتظار شديداً حتى ان كل واحد من الناس كان يشعر بقرب حدوث شيء عظيم »

ثم جاء المنتظر ورقي الدين الى درجة من الكمال والسمو لم يبلغها قبل ذلك

وسندخل في موضوع الكتاب في الجزء التالي

المقالات

الجيش العثماني

* فرنسا والمانيا في البلاد العثمانية *

لما نقلت الشركات البرقية خبر انقطاع العلاقات السياسية بين الدولة العلية والدولة الفرنسية كان هذا السؤال اول سؤال وجهه القارىء الى نفسه وهو : ما هي حالة الجيش العثماني الآن هل في استطاعته ان يرد عن البلاد غارة عدو قوي على افتراض شوب نار الحرب وان كان هذا الافتراض امراً مستحيلاً كما يعلمه الواقفون على العلاقات الدولية . ولماذا غيزت فرنسا سياستها مع الدولة العلية بخافتها هذه المخافة مع انها صديقتها الكبرى من ايام الملك فرنسيس الاول الذي حالفها حتى على الاوروبيين انفسهم . وجواباً عن هذا السؤال ننقل عن العالم البلجيكي الميسواوفر برش مدير التعليم العلمي العالي في وزارة المعارف في بلجيكا ما كتبه عن الجيش العثماني وعلاقات فرنسا والمانيا بالدولة العلية في كتاب نشره في العام الماضي وعنوانه « سياحة في الشرق . تركيا واليونان » فنقول قال الكاتب المذكور في الصفحة ٣٣٧ يصف الجيش العثماني الذي شاهده منذ سنتين في حفلة السلامك في الاستانة ما خلاصته

« ولقد قال لي وكيل بلجيكا في الاستانة في يوم جمعة . اليوم ننعقد حفلة السلامك فاذهب لمشاهدتها ولا تقوتها . فقصدت الجامع الحميدي مع بعض الرفاق في الساعة العاشرة لان الحفلة تبثدى عند الظهر فوصلت الى الكشك الخاص بالسفراء والاجانب وهو قائم تجاه الجامع فوجدنا فيه ضابطاً تركياً من الطف الضباط واطرفهم فاستقبلنا وادخلنا حالماً اربناه اوراقنا . وكان دخولنا الى قاعة الزائرين ولم يكن فيها سوى اربع نوافذ غاصة بالانكليز والانكليزيات ففتشنا عن مكان امام النوافذ نجلس فيه ونرى منه فلم نجد مكاناً والانكليز جرياً على عادتهم لم يتنازل احد منهم عن مكانه لوحده من السيدات اللواتي كن معنا . ولكن وكيل بلجيكا كان قد قال لنا انكم اذا لم تجدوا مكاناً موافقاً في النوافذ

فاقصدوا السطح المحاذي للقاعة واتخذوا لكم مجالس فيه . فذهبنا الى السطح وجلسنا في الصف الاول فلم يلبث ان تبعنا بعض الباجيكيين وكثيرون من الالمانيين الذين كانوا يتكلمون بصوت مرتفع ويصقون الى بعيد

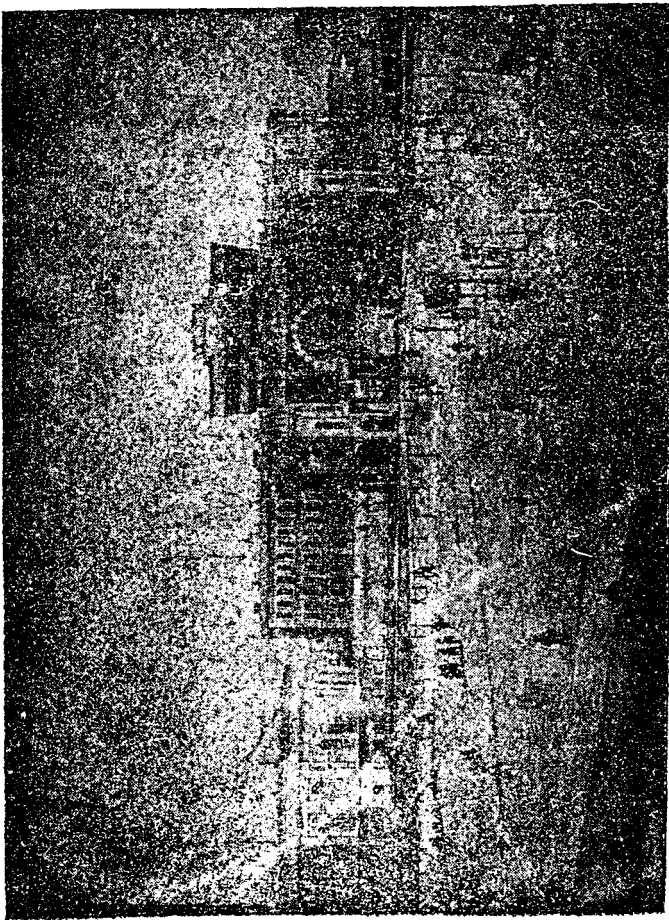
فقبضنا هناك ساعنين في الانتظار واذا بالفراء وعيالهم قد بدت طلائهم وكانوا يلبسون ملابس متناهية في الفخفة والزينة لان الحكومات توصي سفراءها في جميع بلاد الشرق ان يحسنوا انفاق الزينة الخارجية . وبعد ذلك وصلت الجنود

وكان اول من وصل منهم الالمان المشاة لتقدمه الموسيقى العسكرية . فرأى اماننا بنظام بدیع وقوة اعجبنا بها . وكانت جنوده تلبس الطربوش فكان لها به منظر جميل لان الطربوش يكبر قامة الانسان ويجعل له مراءى حريماً مدھشاً . وكانت الموسيقى التي نتقدمهم تصدح بالشيد الالماني ببراعة واحكام يستلبان الالباب . وقد كان بجانب الماني كان من ضباط الجيش الالماني فجعل يشير الى ضباط الجيش العثماني وهو يقول . هذا فلان من كولينجسبرج وذلك فلان من فرانكفور وهذا فلان من كوبلانس . ثم ان هذه الجنود اصطفت صفين على جانبي الطريق . ولم تفرغ من ذلك حتى طلعت طلائع الالمان الفرسان اقدمه الصنوج المفرحة التي تفرع انعاماً مرفضة والذي يلاؤه منظره العين بهجة والقلب سروراً . فقصدها الالمان السهل المخصص بالمركبات واصطف فيه

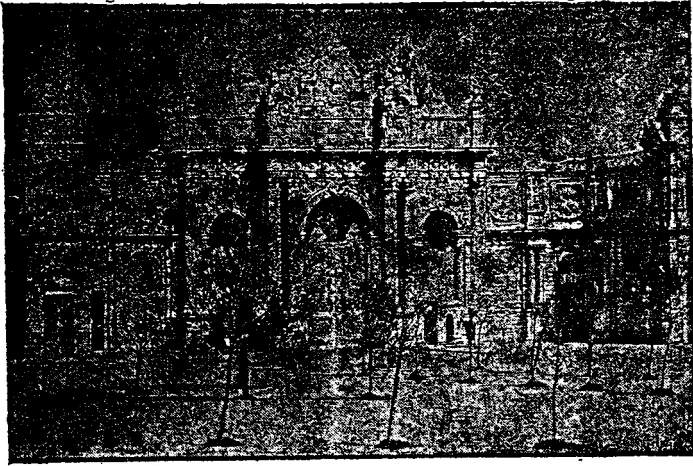
واذا بالرجل الالماني الذي تقدم ذكره قد اخذ يقول « انظروا انظروا لقد جاء الحرس السلطاني . جاء ابطال ثساليا اشجع جنود الارض كلها . انظروا انظروا فانهم جميعاً تحت قيادة ضباطنا ولذلك لا يغلبهم احد . فالتفتنا فوجدنا الجنود الزواف قد بدت وعلى رؤوسها العمام الخضراء وكلهم من نخبة رجال الجيش العثماني . وفي هذه الجنود قال الجنرال سكولف يوم حصار بلغنا « اذا قد عزم اصحاب العمام الخضراء على منعي من اختراق هذا المربع ما لم يقتلوا عن آخرهم » وكانت هذه الجنود سائرة نحو قصر بلدز القائم على مسافة ثلاثمائة متر من الجامع الحميدي

ثم تلتهم جنود البحرية وجاء بعدهم الزواف لابسو الطرايش وهم رجال حسنو المنظر من فريقيهم الى قدمهم . وكان منظرهم ومشيتهم يدلان على انهم من ذلك النسل القادر القوي . وقد قابلتهم في ذهني بالجنود اليونانية التي رايتها في آثينا فنجبت كيف خطر لليونان ان يتوقعوا النصر لجنودهم في حربهم مع الدولة التي لديها جنود كهؤلاء الجنود . ولا انكر ان في الجيش اليوناني رجالاً اقوياء ولكني ارى ان الجنود اليونانية على الاجمال لا تقاس

بالجند العثماني . اليس الاميرال جوليين دي لا كرافير هو الذي قال « ان للجندي العثماني صفات حربية جلية . فاذا ولي قيادته ضباط خبيرون ادهش العالم باعماله كما ادهشه في مضي . وليس ينقص الجيش العثماني جنود اوفوا كبار ولكنه ينقصه ضباط صفار » وقد ادركت المانيا هذا النقص فتقربت من الدولة العثمانية لاصلاح جيشها رغبة في الاعتراف عليه في اوفات الشدة وتزلفاً الى الحكومة لتمنحها في الاناضول الامتيازات التي تمنى نفسها بها فضلاً عن اتخاذها جيش الدولة سوراً دون روسيا



نظارة الحربية في الاسطانة



﴿ باب العسكرية في الاستانة ﴾

وهو مقام قائد الجيش العام

ولما شاهدتُ ما شاهدتُ من نظام الجيش العثماني وترتيبه اخذت اقول في نفسي ان عدم مداخلة اوربا ايام الحوادث الارمنية ناشي عن اسباب قوية ربما كان منها الخوف من حراب الجنود العثمانية

ولكن ما لنا ولهذه الامور فلنعد الى حفلة السلامك . فان الجنود ما انتهت من الاصطفاف في ثلاثة صفوف من الجامع الى سراي يلدز حتى قدمت فرقة واخذت تكنس الطريق ونذر فيها الرمل التنظيف . ثم جاءت فرقة اخرى وصارت تنفض ملابس الجنود التي كانت مصطفة . وبعد برهة انتصف النهار وخرج الموكب السلطاني من قصر يلدز . فصدحت حينئذ الموسيقى وصرى في الجمع ارتعاش فتطاوت الاعناق الى الموكب . فمر فيه رجال الدولة مع ابنائهم ومركبات الحرم السلطاني والموظفون بلباسهم الرسمية . ثم مرت المركبة السلطانية تجرها جياد كريمة وجلالة السلطان جالس فيها بهيئة تدل على عدم الاكتراث بشيء مما حوله . ولما دنت المركبة من كشك السلامك هتف الالمانيون الذين كانوا معنا هتافاً شديداً اكراماً لجلالته فرجع جلالته راسه اليهم وحينئذ استنار وجهه بابتسام ثم سلم عليهم باحتاء الرأس وظلت المركبة سائرة حتى انتهت الى الجامع وفي اثناء الصلاة جاءنا احد رجال التشریفات ودعانا باسم جلالة السلطان الى تناول المربطات في حديقة من اجل الحدائق فاجبنا وتحققنا حسن الضيافة في قصر يلدز

وبعد الصلاة انتظم سلك الجنود كما كان وخرج جلالة السلطان عائداً في «فايتون»
يجرها فرسان ايضاً كركمان وكان جلالاته قابضاً على عنانها بيده ووراء المركبة رجال
الدولة واكابر موظفيها مشاة يتبعونها

هذا ما قاله السائح عن الجيش العثماني . اما ما قاله عن علائق فرنسا والمانيا بالدولة
فهذه خلاصته . قال

كنت احادث بعضاً من راهبات المحبة الفرنسيات في طريقنا الى «بروصه» فسألتهن
اليس الافضل لكن ان تحميين بالمانيا في البلاد العثمانية . فصحن جميعاً من فم واحد
«احمنا يارب من حماية المانيا» ثم قالت احدهن ان المانيا امبراطورية بروتستانتية فكيف
تحمي الكاثوليك حماية حقيقية . ومع ذلك فاننا لا نطلب حماية دولة اجنبية ونترك وطننا .
وقد قلن ذلك والدموع في عيونهن

وبعد برهة اخذ احد المرسلين الحاضرين يشرح لي اسباب الزحام الشديد القائم بين
فرنسا والمانيا في البلاد العثمانية . فقال ان فرنسا كانت في عام ١٨٩٢ تباع من بضائعها في
الاسواق العثمانية ما قيمته ٦٠ مليون فرنك فنقصت هذه القيمة في عام ١٨٩٣ الى ٥٦
مليوناً وفي عام ١٨٩٤ الى ٥٣ مليوناً وفي ١٨٩٥ الى ٥١ مليوناً وفي ١٨٩٦ الى ٤١ مليوناً
وفي ١٨٩٧ الى ٣٩ مليوناً اي ان قيمة ما تبيعه فرنسا في البلاد العثمانية لم تعد تساوي اليوم ١١
في المائة من مجموع المبيعات الاوروبية . اما المانيا فلم تكن لها تجارة مع تركيا في سنة
١٨٧٠ ولكن لم تات هذه السنة حتى بلغت تجارتها معها ٤٠ مليون فرنك فكانها في مدة
ثلاثين سنة قد ساوت فرنسا التي مضت عليها قرون وتجاريتها موصولة الاسباب
مع البلاد العثمانية

وان سألت عن اسباب تقدم المانيا ونكوص فرنسا اجبتك ان المعامل الفرنسية تعتمد
بالاكثر في ترويج بضائعها على «عملاء» من اليونان والالمان والايطاليان فيجدعونها
ويربحون على ظهرها . اما المعامل الالمانية فانها ترسل عمالاً المانيين مخصوصين من قبلها ولتخذ
لها عملاء دائمين في الاسواق المهمة فيلح هؤلاء العمال والعملاء في سبيل عرض بضائعهم
وتصرفها الحاحاً يفضي الى ترويجها . وفضلاً عن ذلك فان لهم شركة كبيرة تدعى شركة
التصدير وهي ذات فروع في مصر واليونان والاستانة وسالونيك وازمير ومرسين وبيروت
وحلب ودمشق وبافا وحيفا وبروصه . وهذه الفروع تعرض على المشتريين جميع اصناف

البضائع التي يطلبونها ويكون لديها مثال منها لان المشترين في الشرق يلذ لهم شراء الاشياء التي يشاهدونها ويكرهون الشراء بلا مشاهدة ولا فحص . وما عدا هذا فان المعامل الالمانية تصنع بضائعها حسنة الظواهر رخيصة الثمن طبقاً للذوق الشرقي . واما المعامل الفرنسية فانها تحسب انه يجب على ابن الشرق ان يخضع لذوق ابن باريز ولذلك لا تصنع بضائعها الا على ذوقها . وقد آلت المانيا على نفسها ان تحتكر جميع السكك الحديدية في الاناضول فاذا تم لما ذلك صارت صاحبة الكلمة التجارية العليا فيها ولم يبق لفرنسا سوى الخطوط الحديدية الصغيرة في سوريا . فمسيكنة انت يا فرنسا ما هذا النكوص امام المانيا . اذكر انه لم يكن احد في القرن السادس عشر قادراً على الاتجار في البلاد العثمانية الا بواسطتنا وتحت رايئنا بناءً على الامتيازات التي كانت لنا . اما الآن فقد سبقنا بمنظروننا . ولا ريب ان ذلك عقاب لنا من الله على خطيئة الملك فرنسيس الاول . فان هذا الملك خان اوربا في ذلك الزمان وحالف الدولة العثمانية عليها . فكافأته الدولة على ذلك بمنحها اياه الامتيازات التي تقدم ذكرها والتي كانت كأنها الثلاثون درهماً التي قبضها يهوذا . والغريب العجيب ان يكون فرنسيس الاول قد حالف تركيا على امبراطرة الالمان الذين كانوا اعداءه وان تركيا تحالف اليوم عليه امبراطرة الالمان الذين هم اعداء فرنسا »

سوريا القديمة والحديثة

بقلم حضرة العالم الفاضل جبرائيل ضومط استاذ البيان في الكلية الاميركية في بيروت وهي الخلية التي الفاهما في المحلة السنوية التي عقدتها هذه الكلية في ١٠ يوليو الماضي ومنحت جنباً فيها رتبة معلم في العلوم اعترافاً بنضله

ايها السادة والسيدات الكرام
بعد الحمد والدعاء اعتذر اليكم عن نفسي اني لست خطيباً ثم استأذنكم ان ابدأ بموضوعي رأساً فاقول
سوريا على ما قاله كثيرون من ثقاة الغربيين اسم مقتطع من اشوريا يعني بلاد اشور وقد ورد في كتب منقذني المؤرخين وثقاتهم كهرودتوس وامثاله وارادوا به كل البلاد التي يحدها الفرات والدجلة الى خليج فارس شرقاً والبحر المتوسط غرباً وآسيا الصغرى شمالاً والعربية وجنوباً . الا ان المتأخرين عن اولئك اطلقوا هذا الاسم على ما هو الشائع الآن

اعني على جزء من هذه البلاد يحده خطٌ يمرّ بخليج اسكندرونه على موازاة خطوط العرض شمالاً وبعض الفرات وبادية الشام شرقاً والعربية جنوباً والبحر المتوسط غرباً

* تقسيم سوريا الطبيعي *

ونقسم سوريا الى ثلاثة اقسام طبيعية (الاول) سوريا الشمالية وتبتدئ من جبال طورس شمالاً وتنتهي عند مدخل حماه جنوباً ومن مدنها حلب وانطاكية وحماه . (الثاني) سوريا المتوسطة وتبتدئ من مدخل حماه شمالاً وتنتهي جنوبي صور جنوباً . ومن مدنها المشهورة في الداخلية حمص وتدمر ودمشق وبعبك وعلى الساحل طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور . (الثالث) سوريا الجنوبية وهي ما بقي من سوريا وتشتمل على ما يُعرف قديماً ببلاد فلسطين او ارض كنعان من مياه الحولة شمالاً الى العريش جنوباً . ومن مدنها الساحلية عكا وحيفا ويافا وغزة والعريش ومن الداخلية طبرية والناصره وناבלس واورشليم والخليل

* تقسيم سوريا السياسي *

اما تقسيم سوريا السياسي فلما كان ولا يزال يختلف باختلاف الازمنة رايت ان ادع التفصيل فيه واكتفي بذكر الامم التي سكنت البلاد من اول عهد التاريخ الى الآن واشير الى مواطنهم فيها مع الاملاخ الى ما طرأ على مواطن تلك الامم من التقلبات وما تعاقب عليهم من الدول الى ان صارت جميع هذه الشعوب والممالك شعباً واحداً ومملكة واحدة عثمانية في ايام نعر سلاطيننا العظام جلالة مولانا عبد الحميد خان . والغاية من كل ذلك ان اتوصل الى بيان اسباب عظمة سوريا قديماً وما بُنِيَ عليه عظمتها في المستقبل . والذي اساله من كرم اخلاقكم ان تعبروني جانباً من التفاتكم ولكم عليّ ان اختصر بقدر ما في الامكان

ايها السادة . في ايام الآباء اي من نحو اربعة آلاف سنة تقريباً كان العالقة والخوريون يسكنون البلاد جنوبي بحيرة لوط الى راس خليج العقبة والرفائيون شرقي الاردن من ارض باشان شمالاً الى وادي ارنون جنوباً . والحثيون والاموريون والعمونيون الفلسطينيون غربي بحيرة لوط الى شواطئ المتوسط . واما بقية البلاد غربي الاردن فكان البيسويون في اورشليم والخوريون في نابلس والكنعانيون في البلاد من جنوبي صور الى يافا واشقلون كل الساحل البحري ومعظم السهول الخصبة فيما يليه من منابع الاردن الى مصبه في بحيرة لوط . وكان ايضاً الحثيون في سوريا الشمالية والاراميون والفينيقيون في سوريا المتوسطة

هولاء على السواحل واولئك في الداخلية

ثم بعد دخول الاسرائيليين ارض كنعان صارت شعوب سوريا ومواطنهم فيها على ما ياتي . العالقة والفلسطينيون والادوميون والموايون والعمونيون والاسرائيليون وبقايا الكنعانيين في سوريا الجنوبية . والاراميون والفينيقيون في مساكنهم الاولى في سوريا المتوسطة . والحثيون اسياء في سوريا الشمالية . وما زال الحال كذلك نحواً من ثلاث مئة سنة تارة يتقوى الموايون والعمونيون وتارة العالقة والمدبانون وتارات الفلسطينيين الى ايام صموئيل النبي وكان الفلسطينيين حينئذ في منتهى قوتهم والاسرائيليون في منتهى ضعفهم ذلك لانهم كانوا قد تفرقت عصبيتهم وانحلت جامعة اسباطهم التي كانت لهم ايام يشوع . فسعى صموئيل النبي في ضم شملهم وتوحيد كلمتهم واقام عليهم ملكاً شاول ابن قيس من سبط بنيامين فملك اربعين سنة وقام عليهم بعده داود النبي فخارب حروبهم المشهورة وانتصر على اعدائهم والام حواليه شمالاً وشرقاً وجنوباً وغرباً . وفي ايامه بلغ اليهود منتهى عزمهم وامتدت سلطتهم على كل سوريا الجنوبية وعلى سوريا المتوسطة ما عدا الساحل كل بلاد الاراميين حتى تجىء الى مدينة نفح على الفرات شمالي تدمر . فصارت ام سوريا ومواطنهم فيها ايام داود وايام سليمان ابنه على ما ياتي

اليهود اسياء في سوريا الجنوبية واخوانهم وابناء عمهم الموايون والعمونيون ومن لف لفهم عبيد مستعبون لهم فيها ايضاً . والاراميون يؤدون الجزية للاسرائيليين في سوريا المتوسطة ما عدا السواحل البحرية على البحر من عكا جنوباً الى ارواد شمالاً . والحثيون في سوريا الشمالية من حماه الى كركيش . الا ان الاراميين كانوا قبيل ذلك قد تداخلوا على الحثيين في كثير من مساكنهم الجنوبية وازاحوهم عنها الى الجهات الشمالية

لكن لم يلبث ان طرأ بعض التغيير على الحالة المارة . فان الاسرائيليين رجعوا بعد موت سليمان الى سالف تنافسهم وتحاذلهم فانقسمت مملكتهم الى مملكتين مملكة اسرائيل في الشمال ومملكة يهوذا في الجنوب فقضي بذلك على عز اليهود وخرج عن طاعتهم اكثر الامم الخاضعة لهم واستمر الحال على ذلك نحواً من مئتي سنة وسوريا على ما نذكره : صور في الساحل سيدة البحار في المعمور وابناؤها منتشرون في العالم ويدهم زمام التجارة كلناهم ابناء البريطانيين في الزمن الحاضر وربما كانوا اشد نشاطاً في الاعمال واكثر اقداماً على الاسفار رغبة في المكاسب والارباح . ومملكتنا يهوذا واسرائيل مما يلي الساحل لتسلمان تارة وتخصان تارات . والاراميون في سوريا المتوسطة يتوثبون تارة على الاسرائيليين وتارة على

الحثيين . واما في سوريا الشمالية فكان الحثيون قد تراجعت احوالهم ونقص ظلمهم بما كان من مناوأة الاشوريين اهل نينوى لهم فتركوا قادس عاصمتهم ايام رعمسيس الى كركيش على الفرات

وفي هذه الاثناء عظم شان الدولة الاشورية فاخذت تغزو الى سوريا كلما آتست من نفسها قوة او بالحري كلما قام على سريرها ملك يرغب في المجد العسكري من جهة وفي انتهاب الاموال من جهة اخرى وتكررت غزوات الاشوريين حتى كانت ايام سرجون احد عظماء ملوكهم فجهز هذا جيوشه وعبر الفرات الى كركيش لخاصرها وما زال عليها حتى استفتحها عنوة ونقل اهلها الى بلاد اشور وهكذا كان فعل في دمشق والسامرة فصار من ثم كل البلاد اعني سوريا الشمالية والمتوسطة وبعض الجنوبية ولايات اشورية ما عدا الساحل البحري واليهودية فانها بقيا على الجزية . واستمر الحال على ذلك الى ايام نبوخذ نصر فوجه غاراته الى سوريا واجلت غزواته فيها عن انقراض استقلالية جميع شعوبها وصيرورتها ولاية بابلية يحكمها ولاة من قبل البابليين . ثم جاء بعد البابليين الفرس ومن بعد الفرس اليونان ومن بعد اليونان الرومان وحكم الرومان سوريا نحواً من سبعة مئة سنة من سنة ستين قبل المسيح الى ان استخلصها العرب من ايديهم سنة ٦٣٨ بعد المسيح

ثم ما زالت سوريا في ايدي المسلمين نثدا ولها منهم دولة بعد اخرى الى ان كانت الحروب الصليبية فاستولى حينئذ الصليبيون على الشواطئ البحرية من انطاكية الى يانا وغزة . لكن لم تات سنة ١٢٠٠ للمسيح وفي البلاد واحد منهم وذهبت آثارهم جملة

وفي بداءة الجيل الخامس عشر كانت غزوة تيمورلنك فخر البلاد تخريباً وقد اكثر تيمور هذا من القتل والنهب والسبي بما لا تزال البلاد تذكره الى اليوم لشدة ما كان من وقعه في نفوسهم . واشد ما كان ضرره في البلاد انه اخذ من دمشق وسائر البلاد ارباب الفضل والصنائع وكل ماهر في فن من الفنون اي فن كان وفرق هؤلاء الطوائف على رؤوس جنده وامرهم ان يوصلوهم الى سمرقند وهكذا فعلوا . والظاهر ان جنوده قتلوا اغلب هؤلاء وهم راجعون الى بلادهم فحسرت بذلك سوريا خسارة لم تعوض بعد

وفي سنة ١٥١٦ دخلت سوريا في حوزة العثمانيين وفي سنة ١٨٧٥ قدر الله لها ان اقام على سرير السلطنة العظمى جلالة الغازي مولانا السلطان عبد الحميد خان الثاني فدخلت على عهده الممالك العثمانية في طور جديد وستبلغ فيه بعونه تعالى ولا سيما سوريا مبلغاً من العز والعظمة لم يكن لها من قبل ان شاء الله

ايها السادة الكرام . لم يحظر في بالي اصلاً ان تغافل في تاريخ سوريا لا قديماً ولا حديثاً
انما اردت بما ذكرته من الفنايكة التاريخية ان احضر امامكم صورة اجمالية لسوريا منذ
اول امرها الى اليوم توطئة للسؤالات الاربعة الآتية وهي :

« أولاً » ابناء من هم سكان سوريا الحاليين ؟

« ثانياً » ماذا كان سبب عظمة سوريا قديماً ؟

« ثالثاً » ماذا كان سبب انحطاطها الى الآن ؟

« رابعاً » بماذا تقوم عظمتها المستقبلية . وبعبارة اخرى بماذا ترجع الى مقامها الذي
فقدته جملة من مدة لا تزيد عن الخمسة سنة وانزاحت عن آخر موقف منه منذ تم فتح
خليج السويس ؟

السؤال الاول

ونبدأ بالسؤال الاول اي ابناء من هم سكان سوريا الحاليين ؟ والجواب عن هذا السؤال
يستدعي معرفة الشعوب الذين كانوا في سوريا قديماً والشعوب الذين في البلاد المحيطة بها ايضاً
اما الشعوب الذين كانوا فيها في ايام ملوك اسرائيل فهم كما راينا الادوميون والعمونيون والمويبيون
والاسرائيليون في سوريا الجنوبية والاراميون في سوريا المتوسطة والشالية والفينيقيون في ساحل
البحر . فان قيل واين تذهب بالكنعانيين والحثيين ؟ قلت اما الحثيون فكانوا على الراجح المسلمين
على البلاد كالرومانيين بعدهم مثلاً لاسكانها الاصليين ولذلك فلما انقرضت دولتهم انقضوا
من سوريا وبقي اهلها الاصليون اعني الاراميين . واما الكنعانيون فاولى ان يلحقوا بالعبرانيين
لان هؤلاء خالطوهم فزوجوهم وتزوجوا منهم من اول عهد اتصالهم بهم الى ايام السبي ولما
كانوا اقل عدداً من العبرانيين غابت جنسيتهم في جنسية العبرانيين . وروى هذه
المخالطة والامتزاج ما كان بين الامتين من المقاربة في اللغة والاخلاق والعادات . وزاد
في تعجيل الاتحاد ان اليهود كانوا يرون الكنعانيين المغلوبين ارقى واعرق منهم في المدينة
فلم يستكفوا من مصاهرتهم والاختلاط بهم . وكذلك الكنعانيون المغلوبون لم يروا حطة
باصهارهم الى اليهود وامتزاجهم بهم شان الامة المغلوبة مع الامة الغالبة . وعليه نقول ان
شعوب سوريا كانوا مؤلفين من قبيلتين كبيرتين العبرانيين والاراميين . العبرانيون في
الجنوب والاراميون في الشمال وهما شعبتان من الارومة السامية وينضم الى هؤلاء قبيلة
صغيرة اعني الفينيقيين سكان السواحل وهم من الارومة الحامية
واما البلدان المحيطة بسوريا فاذا نظرتم ايها السادة الى الخارطة رأيتم العربية وشواطئ

الفرات تحيط بها جنوباً وشرقاً واسيا الصغرى والبحر المتوسط شمالاً وغرباً ولكن لما كانت جبال طورس تفصل سوريا عن اسيا الصغرى وتجعل المهاجرة من احدى البلادين الى الاخرى امراً صعباً ولما كان اهل اسيا الصغرى يخافون السورين في اللغة والاخلاق والعادات ويرون في بلادهم من الخصب وجودة الهواء فوق ما يرونه في سوريا كانت رحلاتهم اليها قليلة. ولم ينقل اليها التاريخ ان امة منهم هاجرت اليها وبخلاف ذلك ما هو مشهور عن العربية وشواطئ الفرات. فان اهل هاتين البلادين ما زالوا منذ ايام ابراهيم الخليل الى هذه الساعة يرحلون افراداً وجماعات الى سوريا وعليه فيهمنا تحقيقاً للجواب عن سؤالنا ان نعرف من هم شعوب العربية وشعوب ما بين النهرين وابناء من هم. ومعرفة ذلك ليست من الامور المشككة لانه تحقق ان سكان هاتين البلادين اعني العربية وما بين النهرين هم من العبرانيين والاراميين وابناء عمهم القحطانيين وكلهم من الارومة السامية ومن قبيلة اخرى صغيرة كشوية وهي من الارومة الحامية

ولما خوذ من كل ذلك وهو ما اردت الوصول اليه ان سكان سوريا وسكان العربية وسكان ما بين النهرين جميعهم من ارومة واحدة سامية اختلط بهم من قبل زمن التاريخ شعبة من الحاميين امتزجت بهم وغابت جنسيتها في جنسيتهم حتي لم تعد تُميّز بوجه من الوجوه. وجميع هؤلاء الشعوب والقبائل كانوا وما زالوا يتشابهون في اللغة والاخلاق والعوائد منذ الاف من السنين الى وقتنا الحاضر. وجميعهم ايضاً على ما علم من احوالهم سريعو الاجابة الى ما يوافق اميالهم ومشاربهم الفطرية متعاصون عما يخالفها وبصعب بل يستحيل ان ينقلوا الى جنسية غير جنسيتهم ولغة غير لغتهم واخلاق غير اخلاقهم. ويكفيني ثبناً لهذه الحقيقة ان اشير الى ما كان من امرهم مع دول الفرس واليونان والرومان اولاً ومع دولة العرب اخيراً فانهم تعاصوا على الدول الثلاث الاولى فلم يمتزجوا بهم ولا تجنسوا بجنسيتهم ولا تعلموا لغاتهم الا مكرهين. ومع ان الدولة الرومانية العظيمة المسماة بالدولة الحديدية حكمت في البلاد وجعلتها جزءاً من ممالكها نحواً من ٧٠٠ سنة فمع ذلك لما كان الفتح الاسلامي وانسحبت جنودهم وموظفهم من البلاد كانوا كأن لم يكونوا فيها ولا حكموا اهلها بعضاً من حديد فاحت آثارهم من اللغة والعوائد والازياء والجنسية. لم يبق شيء من كل ذلك بخلاف امرهم مع دولة الاسلام فانه لم يمض على هؤلاء قرن واحد بعد ان افتتحو سوريا حتي صارت البلاد عربية في لغتها واخلاقها وعوائد ولا تزال كذلك الى هذه الساعة مع ان الدولة العربية انقرضت من البلاد منذ عدة مئات من السنين وما ذلك

الا لبعد الرومان وُبعد العرب من السوريين في اللغة والاخلاق والعوائد كما ذكرنا

✽ السؤال الثاني ✽

ولنتقدم الآن الى السؤال الثاني وهو ما سبب عظمة سوريا قديماً ؟

لعظمة بلاد ما اسباب منها ان يكون في البلاد دولة قاهرة تمدنوحاطها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً كالدولة الرومانية مثلاً وهذا لم يكن لسوريا قط واعظم دولة قامت فيها دولة اليهود ايام داود وسليمان . ولكن هذه الدولة لم تتجاوز سوريا بل لم تنبع الا الجزء الجنوبي منها مع بعض النفوذ في الجزء المتوسط واقل منه في الجزء الشمالي

ومنها ان تكون البلاد متسعة المساحة كثيرة عدد السكان كثيرة المياه والانهار وان تكون عشائرها متحدة معاً تضمهم دولة واحدة يجتمعون تحت لوائها لا يتخاذلون عن نصرتها ولا يترصون بها الدوائر انما هم جميعهم على الاجنبي قلب واحد ويد واحدة . وهذا ايضاً لم يكن لسوريا قديماً فان مساحتها لا تزيد عن الخمسين الف ميل مربع وانهارها قليلة ليس منها ما يصلح للملاحة وامطارها قليلة ولا سبياً في الجزء الجنوبي منها . واما اهلها فما زالوا عشائر متخاذلة لم تجتمع لم كلمة ولا انضموا تحت لواء واحد وطالما كانوا يترص بعضهم الدوائر ببعض الآخر

ومنها ان تكون البلاد غنية بمعادن الذهب والفضة والحديد والنحاس وهذا لم يكن لسوريا ايضاً فانه لم يعرف عنها الى اليوم ان كان فيها معادن ذهب في جبالها او مغاوص لؤلؤ في بحارها

ومنها اتساع التجارة واتقان الصناعة والزراعة . وليس شيء من اسباب العظمة محقق في عظمة سوريا الا هذا السبب . فان اهلها سكان البدو وسكان المدن كلهم كانوا اما تجاراً او متلبسون باسباب التجارة وقد اجمع المؤرخون على ان تجارة الفينيقيين ايام عظمة سوريا بلغت من الاتساع والانتشار مبلغاً قصرت عنه الامم القديمة عن آخرها ولم يكن له مثيل على ما يقولون الا اتساع تجارة الانجليز في الوقت الحاضر . وكذلك اجمع هؤلاء ان الصناعة والزراعة كانتا في سوريا على ارقاها ايام كانت التجارة ايضاً على ارقاها وانحطتا بانحطاطها . ولما انحطت التجارة وانحط هاتان معها انحط عز البلاد وعظمتها وهذا ما اريد ان اقيم البرهان عليه وهو موضوع بحث السؤال الثالث اي ماذا كان سبب انحطاط سوريا الى الآن

✽ السؤال الثالث ✽

كانت صيدون في ايام يشوع المدينة العظيمة والمتقدمة على جميع مدن فينيقية . ذلك

لأنها كانت اوسعهم تجارة وأكثرهم غنى وارسخ في الصناعة قدماً . لكن ما بين القرن الخامس عشر والثالث قامت المعاهدة البلاسجية واخذت لتعقب الصيدونيين وتزيلهم عن موافهم التجارية في البحر المتوسط فتاخر من ثم غنى الصيدونيين وانحطت عظمتهم على نسبة ما ابترت منهم هذه المعاهدة القوية من المراكز التجارية

ثم ما زالت ثنائهم هذه المعاهدة الى ان جاءت شعبة منهم الى نفس فلسطين واستولت على السواحل من يافا الى غزة واخذت تسابق الصيدونيين في التجارة في نفس بلادهم ثم ادت هذه المنافسة في التجارة الى المنافسة في السياسة ايضاً فان الفلسطينيين لما اثروا وامتدت تجارتهم وكثرت صناعتهم طعموا في الصيدونيين وتوثبوا على بلادهم المجاورة ينتزعون منها مكائناً بعد آخر ويلحقونه باملاكهم الى ان كانت سنة ١٢٠٠ ق م فحملوا على حين غفلة بمراكبهم على صيدافاستقوها عنوة وخربوها وشتوا اهلها في الافاق . الا ان صيدا عاد لها بعد ذلك شيء من عزها على نسبة ما عاد لها امتداد التجارة لكن سبقتها صور منذ نكبتها هذه وما زالت سابقة لها الى ان قضي على المدينتين معاً

ولا يمكنني ان آتي على تفاصيل ما طرأ على عظمة صور وكل بلاد فلسطين تبعاً لها ولكن اقول اجمالاً ان صور ما زالت في اوج عظمتها منذ ١٢٠٠ سنة قبل المسيح الى ايام سرجون الاشوري سنة ٧٢٥ وذلك لأنها كانت كل تلك المدة لا يسابقها مسابق في التجارة والاقدام على الغربة وقطع البحار . وكانت صناعتها حينئذ بالغة اعظم مبلغ من الاحكام والانتقان فلما جاء سرجون حاصرها سنيناً ومع كل قوته لم يقوَ عليها . فصالحها على الجزية لكن ما زالت التجارة في يدها يرد اليها بها من فائض الغنى اضاعاف ما كان ينز منها جزيةً للاشوريين فامكنها ذلك من ان تصانع دولتهم العظيمة وتحفظ استقلالها منهم ان يذهبوا به على حين سقطت اغلب ممالك سوريا وصارت ولايات اشورية . ثم جاء نبوخذ نصر الكلداني فحاصرها ثلاث عشرة سنة وافتتحها اخيراً عنوة فقتل ونهب واسر ما شاء . لكن لما كانت التجارة لا تزال بيدها عاد اليها الغنى فعاد اليها ما كان لها من العظمة الى ان جاء الاسكندر المكدوني ولاسباب حاصرها هذا الرجل واستفتحها بعد ثمانية اشهر فنكل في اهلها تنكيلاً لم ير منه مثله . ولو اكتفى الاسكندر بما فعله بها من القتل والنهب والاستعباد لكان عليها الامر مع فظاعته لكنه بنى مدينة الاسكندرية قصداً لتزاحم صور في التجارة فكان ذلك اشد عليها بمرات مما نكبتها به هذا المكدوني الظافر لان الاسكندرية فاستمها بعد ذلك التجارة وذهبت بقسم عظيم منها . فمن ثم لم ترجع صور الى عزها بعد فتح الاسكندر

كما رجعت اليه بعد فتح نبوخذ نصر . لكن لما لم يكن في استطاعة الاسكندرية ان تحول كل موارد التجارة عن سواحل سوريا بقيت صور وغيرها من مدن الساحل بمكان من العظمة والاهمية كل ايام خلفاء الاسكندر وايام الرومانيين وايام الخلفاء من بعدهم في دمشق وبغداد الى ايام غزوات الصليبيين . كل ذلك لان مقتضى احوال العمران لتلك الازمنة وعلاقات الممالك والشعوب بعضها ببعض كانت تقضي ببقاء المدن السورية صور وغيرها محطاً لقسم كبير من تجارة الممهور .
حينئذ . لكن الغزوات الصليبية غيرت من علائق الامم فنشأ في اثنائها على شواطئ ايطاليا مدن تجارية قضت الاحوال الواقعة ان تنقوى تلك المدن شيئاً فشيئاً وتعظم تجارتها فلم تنقص تلك الغزوات الا وهذه المدن من اهم مراكز التجارة بين غربي اوروبا وغربي اسيا وابتزت من المدن السورية معظم ما ابقته لها الايام بعد بناء الاسكندرية من موارد التجارة . فخربت مدينة صور العظيمة وقارب غيرها الحراب وانحطت سوريا اجمالاً الى حالة لم تعرفها من قبل . ولو وقفت الحال عند الحد الذي اشرنا اليه من قيام المدن الايطالية التجارية لكان الامر على سوريا كما هان عليها قيام الاسكندرية من قبل لكن البرتغاليين اهتموا الى طريق راس الرجاء الصالح فجعلوه طريقاً جديداً للتجارة بين اوروبا والشرق ثم لم يلبث ان اكتشفت اميركا ايضاً فتحولت وجهة التجارة راساً بين اوروبا وآسيا اليها وقامت المدن التجارية في اسبانيا وفرنسا وهولانده وانكلترا فكان ذلك الضربة القاضية على جميع مدن سوريا . لكن مع ذلك بقيت بعض القوافل تتردد في التارات بين سوريا والعراق فبقي بسبب ذلك في البلاد دماء من الحياة التجارية . فلما انفتحت ترعة السويس ذهبت بقية تلك الحياة

وليس اللوم على السوريين في شيء مما صاروا اليه من التراجع لانهم لا يستطيعون ان يعارضوا مجرى الايام ولا ان يغيروا من طبائع العمران والامر لله يفعل ما يشاء . فهذا كان ايها السادة سبب عظمة سوريا وهذا كان ايضاً سبب انحطاطها لا ما قد يقال من الاسباب فانها جميعها ثانوية ما عدا الاسباب التي ذكرناها فان المتأمل لا يرى بداً من التسليم بها

﴿ السؤال الرابع ﴾

بقي على السؤال الاخير وساخنصر في جوابه ما استطعت وهو بماذا ترجع سوريا الى عزها القديم . ايها السادة . ينتظر من كان في صناعة مثل صناعتي وفي موقف كوقفي ان يسند اسباب عظمة سوريا في المستقبل الى العلم وانا لا انكر دخل العلم ولا اهميته في تقدم البلاد

على العموم لكن ما هذا قصدت لانه سبب عام تشترك فيه كل بلدان المسكونة على السواء . وهو اوضح من ان يحتاج الى تخصيصه بالذكر انما قصدت سببين عظيمين (اولهما) البيت العثماني الكريم (والثاني) الزراعة وما يلحق بها من تربية الحيوان والنبات وتسهيل جميع وسائل النقل والمواصلات . ولما كان هذان السببان من الاهمية بمكان رايت ان استعطفكم بوضع دقائق بعد ولو شق ذلك على حنكم والكريم من صبر . ايها السادة . ان البيت العثماني وجد سوريا بل كل البلاد من البحر المتوسط غرباً الى اطراف ما بين النهرين شرقاً ومن البحر الاسود شمالاً الى البحر الهندي جنوباً في حالة ما بعدها حالة من التفرق وانقسام الكلمة . ووجدها ايضاً تكاد تكون خلواً من الصناعة ومن اهل الصناعة ايضاً فضلاً عن انخراطها في الزراعة الى آخر ما يمكن لبلاد كبلاد ما بين النهرين ان تنشط اليه . وفوق كل ذلك وجدها وقد تحول عنها طريق التجارة فبلغت من جراء ذلك الى اقصى درجات الفقر والخلو بما جعل المهم نتراجع والنفوس تتصاغر والايدي تنكش حتى عن الجدفي تحصيل اسباب المعاش . فجعل هذا البيت الكريم من همهم اولاً ان يجمع شتاتها . وبضمها جميعاً تحت راية واحدة ولسلاطينه العظام من السعي المشكور في هذا السبيل ما يخلد لهم الذكر مدى الدهر . لكن قضى الله ان يكون اكبر الفخر لواسطة عقد هذا البيت الكريم جلالة مولانا عبد الحميد خان فانه اخرج الى حيز الوجود ما كانت اباؤه العظام تحوم حوله ولا تقع عليه اعني توحيد الكلمة وجعل هذه البلاد الواسعة الخصبة الطيبة الماء والهواء بمملكة واحدة عثمانية وشعباً واحداً عثمانيّاً . فلما بعد كما كنا في ايام الرومانيين مثلاً شعباً وممالك متفرقة تحت راية واحدة فاهرة بل نحن اليوم شعب واحد ومملكة واحدة عثمانية شمالها السلام من افصاها الى افصاها . هذا هو الركن الاول وهذا هو الركن الاساسي لذي وضعه جلالة عبد الحميد لتبني عليه عظمة بلادنا في المستقبل . ولا يسعني لونت ان ابين ما لجلالة مولانا السلطان من الفضل الباهر في وضع هذا الاساس العظيم المبتين على ان التفاتة واحدة الى الخارطة تغني عن الكثير من الشرح والايضاح فلنتقدم الان الى السبب الثاني وهو الزراعة وتوابعها فاقول

﴿ الزراعة دون سواها ﴾

انتم تعلمون ايها السادة ان اركان التقدم الطبيعية الحقيقية بعد الركن الذي ذكرناه انما هي التجارة والصناعة والزراعة وقد رأينا ان على هذه الاركان الثلاثة واخصها الاول قامت عظمة سوريا في الماضي ولا شك ان عليها ايضاً تقوم عظمته المستقبلية . لا طريق ولا

واسطة غير ما ذكر. اما العلم ففائدته واهميته انما هي في ترقية هذه الاركان الثلاثة . وعليه فيهمنا ان نعرف باي هذه الاركان نبتدى اليوم والى ايها ينبغي ان توجه رجال البلاد ومن يتوقف عليهم تقدم البلاد المهمة والاعناء خاصة . الى التجارة ؟ ولعلون ماذا يراد بالتجارة كلا ذلك زمن قد مضى الان ولا سبيل اليه في الوقت الحاضر . اقتستطيعون ان تقلبوا هيئة العمران الحاضر . اتستطيعون ان تمحووا من الوجود اميركا الشمالية والجنوبية وافريقيا واستراليا وبقية جزر المحيط ؟ اتستطيعون ان تحفوا عن اعين اهالي اوروبا طريق راس الرجاء الصالح وتردمون ترعة السويس ؟ ان استطعتم كل ذلك فابدءوا بالتجارة وجهوا اليها عنايتكم الخاصة . بماذا تبدؤن اذن ؟ لعلكم تقولون نبدا بالصناعة لكن اي صناعة تعنون اصناعتم ام الصناعة الاوروبية القائمة بها تجارهم ؟ لا شك انكم تعنون الصناعة الاوروبية لكن فاتكم ان الصناعة الاوروبية تحتاج الى مثل التجارة الاورورية للقوم بها والا فستقط لا محالة . وقد راينا قبيل الان ان ابواب هذه التجارة موصدة في وجوهنا ومن المحال علينا فتحها الان فدعونا اذن من التعللات والتشبهات والاحلام التي لا تجدنا نفعاً وتعالوا بنا الى الحقيقة الراهنة . تعالوا بنا الى الزراعة فليس سواها من وسائل النجاح امامنا الان . ولا تحملوا بالشركات التجارية والصناعية وتبنون عليها عظمتكم ونجاحكم في المستقبل فان جميع هذه اضعاف احلام تعلمون بطلانها ولو بعد حين . اذا اردتم الحقيقة فوجهوا عنايتكم الخاصة الى الزراعة . واعقدوا الشركات لها خاصة دون سواها . اعقدوا شركات لشراء الاراضي واستثمارها . اعقدوا شركات للغرس وتربية الحيوان . اعقدوا شركات لانشاء الطرق بجميع انواعها تسهيلاً لاسباب المواصلات . لكن قبل كل ذلك تعلموا كما يتعلق بما تعقدون لاجله الشركات فلا تقدموا عليه من غير علم ولا سابق اختبار فان ذلك يقضي بالخيبة والفشل .

فياشبان البلاد المتعلمين والمتهذبين وبا اصحاب المهمة والعزيمة الراغبين في ان يبنوا لهم ولبلادهم مستقبلاً مجيداً وجهوا خواطركم الى استثمار اراضي بلادكم الواسعة الخصبة فانكم لستم افضل من ابناء الانكليز ولا تجاركم كتجارهم ولا صناعتم كصناعتهم ومع ذلك فان مئات من نخبة شبانهم وابناء الاغنياء والمتوسطين منهم يدرسون سنوياً في المدارس الزراعية فيتعلمون كيف يلمحون وبزروعون وكيف يربون الحيوان ويفرسون الاشجار المثمرة والمغروسات النافعة ويتعلمون كيف يصلحون الالات الزراعية وكيف يخططون الطرق العادية والحديدية ثم يرحلون في طلب الاستعمار الى اراض ناكل اهلها الى افريقيا واستراليا وجزائر المحيط . فتعلموا مثلهم وانتم في غنى عن شبه مهاجرتهم الشاقة لان بلادكم

جنة الله في ارضه ومن الجهل ان تتركوا استغلالها الى التعلل بالامال الفارغة والصناعات الخاسرة والاستخدامات الكاسدة فضلاً عن ان هذه الصناعات وتلك الاستخدامات سيسد بابها عما قليل فتعنون انفسكم باطلاً وتقتلون اوقاتكم بالتشبيات والتشكيات . انا اعلم ان كلامي لا يصادف الان اذانا سامعة لكن غاية ما في وسعي ان انبه الى الخير ولا تكلف نفس الا وسعها

خريستوفوروس جباره

لبعض الناس القصيري النظر والقاصري الحكم خصلةٌ مستهجنة وهي انهم ينظرون في كل شؤٍ ونهم الى من يقول القول لا الى القول نفسه . فاذا راموا الحكم على رأي من الآراء لزمهم ان يسالوا عمن رآه ومن قاله فاذا كانت القائل يظهر كبيراً في مخيلتهم «الذباية» اعظموا القول وقائله واذا كان يظهر غير كبير صفروا القول وقائله . فشانهم في ذلك شان من لا باصرة له تحكم ونعقل وانما يبني حكمه على حكم سواه وهذا الداء كثير الانتشار في الصحف العربية الشرقية وذلك من سوء حظ الادب العربي والنهضة الادبية الشرقية لانه بمثابة عثرة في طريقها . ولكن لهذا الداء دواء وهو رجوع كل كاتب الى نفسه والى عقله في الحكم على الاشياء والاشخاص التي تمر تحت نظره ووضعها في الموضع الذي تجعلها فيه باصرته دون محاباة ولا مراعاة عملاً بناموس الانصاف وان كان في ذلك ما ينافي هواه او مصلحته .

ومن اجل هذا نرى واجباً ان نقطع في هذا الفصل جبل السكوت عن رجل توفي في الشهر الماضي وأكثر القراء يعرفونه او سمعوا باسمه . وهذا الرجل هو المرحوم خريستوفوروس جباره الذي اخذ على نفسه في حياته مسألة توحيد الاديان اليهودية والمسيحية والاسلامية او اظهار «الوفاق بين التوراة والانجيل والقرآن» كما كان يقول . فانه لا يحسن ان ينتقل من هذا العالم رجل اقدم على عمل هائل كذلك العمل دون ان يودع بفصل يظهر للقراء حقيقة ذلك الرجل الذي كان يحسب انه يعمل عملاً عظيماً لم يسبقه اليه احد من المتقدمين والمتأخرين

وكان بدء معرفتنا به ارساله الينا في عام ١٨٩٩ مؤلفاته مشفوعة بكتاب طويل قال فيه « بما انكم تحبون وتخدمون الامة باحسن ما تستطيعون وضم قلوب الامة المنفرقة في الله

واحد ارواح عقائدها هو على اعتقادي من اقوى وانتفع واثبت واعم الخدم للشعوب
العثمانية وللدولة فاقدتم اليكم آخر مؤلفاتي في هذا الباب راجياً مطالعتها « وقد تصفحنا هذه
المؤلفات وهي تزيد على الخمسة والسنة فراينا انه قد صرف جهده فيها الى اقامة البرهان على
خطأ المسيحيين والمسلمين واليهود في ما يعتقدونه في هذا الزمان . خطأ المسيحيين لانهم
يعتقدون بلاهوت المسيح والمسلمين لانهم لا يعتقدون بصحة الانجيل واليهود لانهم ينكرون
مجيء المسيح . وحاول ان يثبت من كتب هذه الطوائف الثلاث ان اديانهم وكتبهم متفقة لا
خلاف فيها البتة فلا موجب لهذا العدوان بين بعضهم البعض

وقد قدم من العاصمة الى النغر بعد ارساله مؤلفاته الينا ببضعة اسابيع فزارنا للمرة الاولى
فوجدناه ربعة الجسم عريض العضلات قصير القامة بلحية طويلة يحاطها الشيب ووجد دموي
فوقه طربوش وتحته ففطان اسود بسيط . فتاملنا في وجه هذا الرجل الذي كان يضع نفسه
فوق الامم المعاصرة ليعلمها ما كان يسميه الدين الحقيقي فلم نجد في عينيه تلك القوة التي
تكون في عيون قادة الامم ولا في نفسه تلك الحماسة التي تسري من الانبياء الى شعوبهم كما
تسري الكهربائية من جسم الى جسم فتكهر به . بل راينا امامنا نظراً جامداً لا يدل على
نباهة ولا خمول وجسماً فيه المادة اقوى من الروح . غير اننا وجدنا في مقابلة ذلك لساناً
طليقاً لا يكل ولا يمل كأنه مركب فوق لولب

فاخذ خريستوفوروس يحكي لنا تاريخه . فقال انه كان من قبل ارشعندريتا في
« انطوش » ارثوذكسي في روسيا فسعى سعياً حثيثاً لتعمير هذا الانطوش وبناء كنيسة
هناك فتمكن من ذلك وصار محترماً محبوباً . فخطر له في ذات يوم ان يكتب الى بعض
اخوانه من رجال الدين في سوريا ان يسعوا لجعل البطريرك اليوناني في دمشق من ابناء
العرب السوريين . فوقع هذا الكتاب في يد البطريرك اليوناني فعزله من رئاسة الانطوش
واستقدمه الى دمشق . وكان خريستوفوروس قد اتفق على الانطوش نفقات طائلة بعضها
من ماله وبعضها مما جمعه من المحسنين فلما قدم الى دمشق الشام طالب غبطة البطريرك بالدين
الذي له على الانطوش فلم يعرفه له بل ابقاه في دار البطريركية ذليلاً مهملًا . قال
فانقطع اذ ذاك الى التامل في الاديان الحاضرة ومطالعة القرآن والانجيل والتوراة .
وكن في اثناء حياتي الماضية اشعر بقلتي واضطراب في ضميري . وما زلت على هذه
المطالعة حتى وقفت على الحقيقة وظهر لي السر العظيم فشرعت حينئذ بان ناراً
تضطرم في نفسي وبان صدري مجباً للحقيقة العظمى التي اكتشفتها والتي كنت اخشى ان

اموت ولا ادعو الناس اليها . فسافرت الى اميركا وعرضت مبداءي في مؤتمر الاديان فاجمع الاعضاء على استحضانه . . . ثم جئت الى مصر وانشأت جريدة واخذت ادعو فيها الى الحق والفت كتباً ايضاً .

فقلنا له وماذا كان رأي الناس فيك . فضحك وقال كان رأيهم فيّ كما كان رأيهم في كل من يقوم ويدعوم الى امر جديد . ولكن مساكين هؤلاء الناس فانهم كلهم في ضلال مبين . . .

فشرحنا لخريستوفوروس حينئذٍ خشونة المركب الذي ركبه ونحن نظن ان المنطق يجد سبيلاً الى عقله . فقلنا له ان الاديان كلها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتقضي بحب القريب واتباع الفضائل ونبذ الانانية فهل رايت كثيرين من تباعها يعملون بذلك ويتبعونه . فالده ذاك ليس في الكتب ولا الاديان وانما الداء في نفوس الناس . ولا سبيل الى تغيير هذه النفوس لتعامل بعضها بعضاً كبشر لا كحيوانات الا متى انقشعت غيوم الجهل عنها وارثقت واستنارت . وهذا الامر لا يتم باقامة البرهان على خطاء اصحاب الاديان ولكن باطلاع الناس على نوااميس الطبيعة واسرار الكون ومبادئ الحياة واصول الاداب والفضائل فان هذه المبادئ متى دخلت نفس الانسان جعلتها قوية على الاوهام هادئة لدى كل معارك الحياة ونبتت منها كل ما يحول دون الالفة بين البشر . فانشاء ممكنة الله في الارض عمل علي ادبي اكثر مما هو لاهوتي . وذلك العمل بطيء المحصول ولا يتم الا بالتدريج الذي هو قاعدة من قواعد العلم والطبيعة . ثم انك هل رايت المسيحيين متفقين فيما بينهم لتجوز لك الدعوة الى اتفاق الامم الاسلامية والمسيحية واليهودية معاً .

فاجاب ان البشر من ام واحدة وجيلة واحدة فحرام عليهم ان يبقوا مبغضين بعضهم بعضاً . فقلنا له انك اجبت عن الاعتراض الاخير ولم تجب عن الاعتراض الاول . فقال ان الاعتراض الاول بحث علمي ونحن لا نبحث الآن في العلم

فعلمنا حينئذ ان العقل الذي كان امامنا عقل منصرف الى المجادلات الدينية العقيمة لا يفهم القاعدة العلمية ولا يعرف تأثيرها ولا يدرك انه لا يمكن حدوث شيء في هذا العالم بدونها . وتحققنا حينئذ ان المرحوم خريستوفوروس يسير على غير هدى ولا نظام في جميع اقواله واعماله كان الموازنة غير مستوية في نفسه رحمه الله

ثم غاب عنا خريستوفوروس بضعة اسابيع وعاد الينا فسالناه اين كنت في هذه المدة قال سافرت الى دمشق الشام لتهيئة غبطة البطريرك الانطاكي العربي بمجلوسه سيفي كرمي

البطيركية لانني كنت في مقدمة الداعين الى اخراج هذا الكرسي من ايدي اليونان الى ايدي العرب . فنجبنا لهذه السفرة بعد ما كنا قد سمعناه من فمه من التحامل الخفيف على بعض رجال الاكلبروس وسالناه ماذا حدث لك في دمشق وكيف استقبلت فيها . فقص علينا قصة طويلة خلاصتها ان بعضهم زين له الرجوع الى كنيسته فظهر لهم الطاعة والرضوخ لان السلطة التي كان يقاومها قد زالت وله حقوق قديمة في انطوش روسيا يروم المطالبة بها . ولكن وقع الاختلاف بينه وبينهم على امر التوبة . فانهم كانوا يطلبون منه بناء على القانون كتاباً يظهر فيه توبته ونبذه لكل الاقوال التي قالها والكتابات التي كتبها ورجوعه الى الحظيرة برضائه واختياره وبعد ذلك يسمحون له بالاقامة في احد الاديرة ويمسنون معاملته ويعوضون خسارته . وهو كان يقول لهم انه لا يستطيع مخالفة اعتقاده ونبذ المذهب الذي دعا اليه وانما يرضى بالاقامة في دير والخلوة فيه الى نفسه وضميره ليرى اذا كان الله يغير ما بنفسه او يبقيه على اعتقاده

فلما قال هذا القول حدقنا جيداً في عينيه لنقرأ فيها جواباً لسؤال قام حينئذ في نفسنا . وهو هذا : اخلص هذا الرجل في كلامه ؟ احقيقي انه يوجد الآن تحت سماء الشرق رجل يعرضون عليه رئاسة ومكافأة ليغير فكره ولا يغيره ؟ وقد قام في نفسنا هذا السؤال (وليس في قيامه شرف للمبادئ الادبية في الشرق) لما هو مشهود من « رخص » الافكار عندنا واسفاه وسرعة تغيرها في نفس كل ذي فكر طبقاً لمصلحته وهواه

على ان الامر الذي استنتجناه من هذه الحادثة الثانية مع المرحوم خريستوفوروس هو الاسف من ان الرجل لم يرجع من مقام البطيركية راضياً راضحاً . وقد قلنا غير مرة في نفسنا انه لو تم ذلك لكانت لنبطة البطيريك العربي فضل عظيم في اصلاح ما افسده البطيريك اليوناني لاننا نعتقد ان التبعة في شدوذ خريستوفوروس واقع نصفها ان لم يكن كلها على السلطة الدينية التي اخرجته في بدء امره فاخرجته عن دائرة العقل والنقل . ولا عبرة بانه كان ذا استعداد لذلك فان مسبب الشر كفاعله . وقد قيل الويل لمن تأتى العثرات على يده

ولكن يظهر ان هذا الشر الذي جاء على يد بطيريك يوناني لم يكتب اصلاحه الا لبطيريك يوناني . ونعني به غبطة الخبر الجليل السيد فوتيوس بطيريك كرسي الاسكندرية فان غبطته حين وفاة المرحوم خريستوفوروس في العاصمة في الشهر الماضي لم يتردد في قبوله في دائرة سلطته واعنباره كرجل من ابناء رعيته وهذا مما دل على حكمة غبطته

آثار من قبل الطوفان

هل كان الطوفان عاماً على وجه الارض . مسألة اختلف فيها العلماء وان اتفق عليها اللاهوتيون . ولهم في انكار ذلك التعميم ادلة علمية وتاريخية واثربولوجية لا محل لذكرها في هذا المقام . بل ان بعضاً منهم يذهبون الى انكار الطوفان نفسه ويعتبرونه من جملة الافاصيص والاساطير الخرافية القديمة . قال احد هؤلاء المنكرين . ان الارض اقدم مما يظنه القائلون بالطوفان والعمران فيها قديم العهد جداً ايضاً وهو ادوار ينلو بعضها بعضاً على وجه غير متصل . وقد كانت اسطورة الطوفان بعد واحد من تلك الادوار . فانه كان في العالم قبل تمدن الاشوريين والكلدانيين والمصريين والصينيين والرومان واليونان تمدن عظيم لا يعرف التاريخ شيئاً عنه وعن اهلـه . وقد بلغ الناس في عهده فوق ما بلغوه في هذا الزمان من الحضارة والخلاعة والزحام على الحياة والتناق وحـب صلاح الحال . وكانوا كلما ازدادوا انبعاثاً في هذه الشؤن ازدادت اخلاقهم بعداً عن الصلاح وقرباً من الفساد . ثم دالت دولة ذلك التمدن فانقرض وزال فقال مؤرخوه ان الله اهلك اولئك البشر بطوفان عظيم عقاباً لهم على فسادهم وشروهم

ومن اجل هذا تجمد كثيرين من العلماء الماديين الذين لا يتقنون بتقدم العالم واستمرار الارتقاء البشري يتساءلون هل 'قضي على البشر بما قضي على طائفة النمل . فان هذه الحيوانات الصغيرة تصل في حياتها الى درجة من (التمدن) محدودة فتى بلفتها وقفت عندها ولم تتجاوزها . فهل ان الخالق سبحانه وتعالى وضع حدّاً لتمدن الانسان كما وضع حدّاً (لتمدن) الحيوان

على اننا اذا كنا لا نعرف شيئاً عن تمدن البشر واخلاقهم قبل العصر الطوفاني فاننا نعرف شيئاً كثيراً عن الحيوانات التي كانت رفيقة للانسان في ذلك الزمان . وانما نعرف ذلك من بقاياها في جوف الارض وهذه البقايا لا يزال العلماء يكتشفونها الى هذه الايام وآخـر ما عثروا عليه منها وجدوه في ارض واسعة في « ييكربي » على مسافة عشرين كيلومتراً من آثينا . وقد حملت احدى السفن الانكليزية من ثغر بيره اليوناني في اواخر الشهر الماضي اربعين صندوقاً مملوءة ببقايا الحيوانات التي عاشت قبل الطوفان لوضعها في المتحف الانكليزي في لندن

وقبل الكلام على ارض ييكري التي تستخرج تلك البقايا الحيوانية القديمة منها نشير الى كيفية ترتيب البقايا في الارض . فنقول ان في جوف الارض خمس طبقات مختلفة وكل طبقة منها تدل على ان حادثاً طبيعياً عظيماً قد حدث على سطح الارض فغطاها بشيء لم يكن لها ودفن تحت هذا الشيء الحيوانات التي كانت على وجهها . ومن الغريب ان النابشين لا يجدون تحت القشرة الاولى او الطبقة الاولى الا حيوانات صغيرة غير تامة الخلقه فكأن الارض كانت يومئذ في بدء نشأتها . ولكن قد يكون في هذه القشرة اشجار محجرة هائلة الحجم . واما الطبقة الثانية ففيها كثير من انواع الاممك والزحافات الكبيرة ولكن لا اثر فيها لذوات الثدي . واما الطبقة الثالثة ففيها ذوات الثدي كليل العظم ووحيد القرن وغيرهما من الحيوانات المجتررة والقارضة والطيور . واما الطبقة الرابعة ففيها الحيوانات العائشة في هذا العصر . وقد تمكن العالم كوفيه من ترتيب هذه الحيوانات بحسب نشأتها وقدميتها

اما ارض ييكري التي تقدم ذكرها فقد كانت من قبل لدير يوناني على سفح جبل بانتليكوس في طريق ماراتون . واصل اكتشاف تلك الآثار الحيوانية فيها ان جندياً بافارياً كان يصطاد في تلك الارض في عام ١٨٣٨ فوجد فيها حفرة فيها كثير من بقايا الحيوان فحملهما الى أثينا وعرضها على علمائها فتمتققوا انها من الحيوانات القديمة . فجاء بعده الاستاذ روس من اساندة كلية مونيخ وحفر في تلك الارض فوجد فيها كثيراً من الحيوانات التي عاشت قبل الطوفان فعاد بهذه الغنيمة الى متحف مونيخ . فثار حينئذ ثائر علماء اوروبا واقبلوا على الحفر في تلك الارض . فوجد فيها الميسوكودري التراسوي في عام ١٨٦١ كثيراً من البقايا الحيوانية منها حيوان مما « فارة ييكري » وفرس من الافراس التي كانت تعيش قبل الطوفان وهو يختلف عن افراس اليوم من حيث شكل حافره . وفي عام ١٨٨٢ حفر فيها الاستاذ درز الالماني وفي عام ١٨٨٥ حفر فيها الاستاذ نوماير النمساوي . وفي الاعوام الاخيرة حفر فيها المستر ارتورو ود ناظر المتحف الانكليزي في لندن فوجد من البقايا الحيوانية ما ملأ به الاربعين صندوقاً التي تقدم ذكرها وفي جملتها كثير من رؤوس الخنازير الوحشية التي كانت تعيش قبل الطوفان واسنانها لا تزال مركبة في افكها واسنان الفيلة العظيمة التي كانت تعيش في ذلك العصر البعيد وفي جملتها سنٌ طولها متر واحد وهو اطول سن معروف للفيل الى هذه الايام . وقد كان اكتشاف النابش الانكليزي اهم من جميع الاكتشافات التي تقدمته

على ان الحفر في هذه الارض لم يتقطع الى اليوم . فان عالمًا ايطاليًا يطلب الآن من صاحبها المسيو سكوتس الذي كان وزيرًا للشؤون الخارجية اليونانية في وزارة المسيو دلياني ان يسمح له بالحفر والحكومة الايطالية تعضده . ولا ريب ان المسيو سكوتس يجيبه الى ذلك كما اجاب الذين تقدموه

وقد استدل الباحثون من هذه الآثار على امر ذي بال . فانهم تحققوا ان البقايا الحيوانية المذكورة لا تشبه البقايا الحيوانية التي وجدت في ارض اوربا ولكنها تشبه كل الشبه البقايا التي وجدت في جزائر اليونان وفي ارض آسيا . ولذلك قالوا ان ارض اليونان كانت في الزمان القديم متصلة بآسيا ومنفصلة بالبحر عن اوربا خلافاً لما هي فيه في هذه الايام من انفصالها بالبحر عن آسيا واتصالها باوربا

طريقة صيد الثعلب

للصيد شأن عظيم عند الناس فبعضهم يتخذ للارتزاق والتجارة وبعضهم للهو والتسلية . وهو انواع بعضها بالرصاص وبعضه بالكلاب . والحيوانات المصيدة انواع ايضا اهمها شاة الجبل والخنزير والارنب والثعلب والذئب والاسد والفيل والطيور بعضها للانتفاع ببعضها وبعضها للانتفاع بريشها وجلودها . ومن النوع الثاني صيد الثعلب الذي كان له في انكترا والقطار المصري في الشهر الماضي طنين ورنين بناء على ما قام من الخلاف بين بعض من ضباط الجيش الانكليزي في العاصمة وخبراء منزل المستر بلنت الايرلندي في المطربة . فان بضعة من الضباط خرجوا في ذات يوم لاصيد الثعلب ومعهم كلاب استقدموها من انكترا لهذا الغرض فلما وصلت الكلاب الى حديقة المستر بلنت في المطربة دخلت الحديقة لتطاردها ثعلباً شاهدته فيها فلحقها الضباط . فخرج اليهم حينئذ خبراء الحديقة وحدث بين الفريقين نزاع شديد ادى الى ضرب واهانة . فحكم الخبراء وحكم عليهم بالسجن فاكبر المستر بلنت صرامة الحكم وكتب الى الجرائد الانكليزية بذلك وسأل اصداؤه في مجالس العموم الانكليزي الوزارة عما صنعه الضباط من دخولهم الى حديقته للصيد فيها . ولم تكن كل تلك الجلبة والضوضاء الا من اجل ثعلب

ولصيد الثعلب شأن عظيم في انكترا وهو من اشهر ضروب الصيد هناك ويقصدون

بصيده امرين الاول ترويض الكلاب على الجراءة والعدو السريع والثاني الانتفاع بمجد هذا الحيوان . واما طريقة صيده فهذا بيانها .

يعدون لهذا الصيد كلاباً سريعة فادرة على اللحاق بالثعلب وخير الكلاب لذلك الكلاب الانكليزية . ومن مزايا هذه الكلاب انها تشم رائحة الثعلب من بعيد جداً فتقوم حوله قبل ان تراه حتى تكتشف مكانه . وذلك لان للثعلب رائحة مخصوصة به تعرفها تلك الكلاب . اما الثعلب ففى رأى الكلاب اطلق ساقيه للريح فتجد الكلاب فى طلبه كأنها نبال خرجت من القوس لشدة سرعتها وارتياحها الى الركض فى الطريق التى يركض الثعلب فيها . ولكن الثعلب لا يلبث بعد مدة ان يرى الكلاب قد صارت قريبة منه فيقال انه يتخلص منها حينئذ بأسلوب بسيط جداً وهو ان يقف ويقضي حاجته فما يخرج البراز من جوفه وتنشر رائحته حتى تعود الكلاب عنه تخبط رائحته وكراهة الكلاب اياها اشد كراهة . ولكن الويل له اذا وقف ولم يستطع قضاء حاجته فانه يؤخذ حينئذ غنيمة باردة . وحياناً يستطيع الفرار بعد هذا الوقوف والالتجاء الى وكرة فيدخل فيه ويبرز راسه مدافعاً به اشد دفاع فلا يكون للكلاب سبيل اليه . وحياناً يرمى بنفسه فى الماء ويخرج راسه على شاطئ النهر مدافعاً به فتعجز الكلاب عن اخذه حتى يدركه التعب والعياء . ولكن اذا ادركته الكلاب قبل ذلك فانها تحيط به من كل جانب وتهجم عليه فتخذه فيأخذه الصياد حينئذ ويعلقه فى غصن احدى الاشجار فتقوم تحته الكلاب التى صادته ناجمة واثبة اليه حتى تصل اليها الكلاب التى تاخرت عنها فان رؤية الطريدة جثة جامدة امامها مما يجعلها جريئة قوية فى صيد ثان . على ان الصياد لا يدع الثعلب معلقاً امام الكلاب وقتاً طويلاً لئلا تالف رائحته كثيراً فلا تعود شديدة الشعور بها عند الصيد . وللصياد كلمة متى صاح بها فى اثناء الصيد وثبت الكلاب وثباً شديداً الى المكان الذى يشير اليه الصياد باصبعه لانها علامة على وجود الثعلب . وهذه الكلمة هي « تايت . تايت » فكان « تايت » فى قاموس الكلاب كلمة مرادفة للثعلب

عرابي باشا ومنفاه

آراء الناس في عرابي • خلاصة ترجمته • تاريخ جزيرة
سيلان منفاه

* آراء الناس في عرابي * لعرابي باشا المنفي في جزيرة سيلان والذي سيعود في هذا الشهر الى القطر المصري صورتان اديتان متباينتان واحدة يرسمها اصدقاؤه وواحدة يرسمها اعداؤه

اما الصورة الاولى التي يرسمها اصدقاؤه فهذه خطوطها الكبرى — كان الفلاح المصري قبل قيام عرابي باشا في اسوأ حال والوظائف الكبرى كلها في ايدي الغرباء والرشوة القاعدة الاولى في الاحكام وكان جميع المصريين يحنون رؤوسهم تحت نبر ذلك الحكم الجائر والاستبداد الذي لا مثيل له ولم يجسر احد منهم على رفع رأسه ومطالبة الهيئة الحاكمة بحقوق الهيئة المحكومة غير عرابي • فعرابي اذا بطل من الابطال ككروموويل صاحب الاصلاح الانكليزي ولافايت صاحب الاصلاح الفرنسي وكوشوت صاحب الاصلاح النمساوي وواشنطن صاحب الاصلاح الاميركي • وقد كان قيامه حداً فاصلاً بين عالم الاستبداد الماضي وعالم العدل التالي

وهؤلاء الاصدقاؤ الذين يرسمون لعرابي هذه الصورة أكثرهم من رجال الانكليز وفي مقدمتهم محاميه الذي دافع عنه يوم محاكمته • واما الصورة الثانية التي يرسمها خصوم عرابي فهذه خطوطها الكبرى

يقولون • ان عرابي رجل جاهل حסود طماع • اما جهله فلانه حسب انه يكفي ان يثور الشعب المصري فينال الاصلاح المطلوب • فكانه نسي مصالح اوروبا في مصر وعلائقها بالباب العالي • واما حسده فلانه رأى الجراكسة في الوظائف الكبرى فرام التعالي عليهم • واما طمعه فلانه كان يتطاول الى العرش الخديوي ليعبد في مصر حادثة محمد علي • وقد ادت سياسته هذه الى ثلاث مزار كبرى • الاولى قتل استقلال بلاده • والثانية لباس الجيش المصري لباس العار وفي وقعة التل الكبير التي فر فيها عرابي فرار الجبان بعد ما كان لهذا الجيش من الابداد العسكرية في بلاد السودان وغيرها • والثالثة اخراج منافع البلاد ومرافقها من ايدي ابنائها الى ايدي الاجانب بازدياد العنصر الاجنبي فيها بعد الاحتلال • فعرابي



﴿ عرابي باشا ﴾

كان إذا آفة لوطنه وخائناً لمليكه . وكان ناظم الايات التالية قد ترجم عن عواطف هذا الفريق لما قال هذه القصيدة الرشيقة التي تنم على ناظمها كما ينم العطر على العطار ومطامها

صغار في الذهاب وفي الاياب اذا كل شانك يا عرابي
عفا عنك الاباعد والاداني فمن يغفو عن الوطن المصاب
نفس في مصر موفور المعالي رفيع الذكر مقتبل الشباب
افرق بين سيلان ومصر وفي كليهما حمر الثياب

ولكننا نرى ان بين هذين الطرفين وسطاً للعاقل البصير . والتاريخ العادل المنزه عن الهوى اذا رام ترجمة عرابي لم يحسب له سيئة قيامه الى صلب الاصلاح في زمن كانت فيه الحقوق مهضومة والظلم فاشياً فان ذلك نظام طبيعي اذا لم يظهر على يد عرابي ظهر على يد سواء وهو من نتائج الاختلال وسوء الحال . ولكن السيئة الكبرى التي بدونها له تاريخ مصر ويعتبرها خروجاً عن جادة السياسة الصحيحة والنظام الطبيعي الذي لا يتم شيء بدونه هي قيامه على السلطة الخديوية واعتبار الخديوي امير البلاد وصاحبها عدواً له ولما فضلاً عن اثاره الضغائن الجنسية في النفوس اثاره افضت الى مذبحه الاسكندرية المشهورة . فلو كان عرابي اوفر علماً باسرار السياسة الدولية واكثر اطلاعاً على حوادث عصره ومجري

زمانه ولو كانت نفسه مستعدة استعداداً حقيقياً لتكون زعيمة حزب عظيم وفيها ما يجب ان يكون فيها من السلطة لكبح جماح العامة حين جموحها كما كان فيها من المقدرة على اثارها لراى ما كان امامه من الصخور الهائلة . ودنا موضع الخلاف بين عرابي وخصومه فانه ما فتى ينادي من جزيرة سيلان في كتب خدوشية وغير خصوصية انني لم اصنع ما صنعت الا خدمة لوطي واعلاء لشأنه . فبرث عليه اولئك بقولهم ان قيامك على سيد البلاد قياماً اضطر دولة اجنبية للدفاع عن سلطته فد اضاع البلاد ومن فيها فاذا كانت نيتك حسنة فان سياستك كانت من افجح السياسات

* خلاصة ترجمته * ولا بد في هذا الفصل من الالمام بشيء من ترجمة عرابي لثمة للنائدة . فنقول انه احمد عرابي الحسيني ولد في عام ١٨٣٩ ولا بلغ السنة الرابعة عشرة دخل المدرسة العسكرية وخرج منها في ايام المرحوم سعيد باشا فانظم في سلك الجيش ولكنه لم يلبث ان طرد منه على ما يقال لسوء سلوكه بعد جلده عقاباً له ولعل ذلك لشدة عناده في شبابه . وبعد ذلك دخل الى الجامع الازهر لطلب العلم وتزوج بجارية لاحد الباشوات ثم عاد الى الانتظام في سلك الجيش في ايام المرحوم اسماعيل باشا وشهد القتال بين مصر والحبشة برتبة فائمهقام دون ان يمتاز بشيء في تلك المعركة . ولما عاد من السودان اخذ يسعى في تاليف جمعيات سرية لمقاومة الجراكسة الذين كانوا اصحاب الكلمة في الجيش فالقي عليه القبض في عام ١٨٨١ ولكن انصاره هجموا على السجن فكسروا ابوابه واطلقوه . فكبر الامر على وكيل انكلترا ورام خنق هذا المبداء قبل استئماله فامتنع وكيل فرنسا من الاشتراك معه في ذلك في بدء الامر ظناً منه ان عرابي ورفاقه تغلصون في دعوتهم ومطالبهم (نقلًا عن المسيو بوردو) وبعد ذلك عظم الامر فوردت على حكومة مصر مذكرة من الدول نقضي بمنعها من انشاء مجلس نيابي فيها كما كان يطلب عرابي فلم يمثل عرابي وكان قد منح رتبة باشا فانتخبه المجلس النيابي المذكور ناظرًا للحرية بالرغم عن طلب انكلترا وفرنسا نفيه من القطر المصري . فعظم نفوذ عرابي يومئذ واخذ يقاوم السلطة الخديوية لانها كانت لا تجاريه على مراده فارسلت الدولة العلية في ٨ يونيو من عام ١٨٨٢ درويش باشا للتحقيق في المشكلة المصرية ثم اشتد الخلاف بين المرحوم توفيق باشا وعرابي فاعلن عرابي انزال الخديوي عن كرسيه فها هو اوربا الامر ثم كانت مذبحة الاسكندرية في ١١ يونيو ف ضرب الاميرال السربوشان سيمور قائد الاسطول الانكليزي الاسكندرية واحتلها تأييداً للسلطة الخديوية فجاء عرابي بمجنوده الى التل الكبير فسارت اليه الجنود الانكليزية فقر من

وجهها عرابي وجنوده من غير حرب ولا قتال وهذا مما اسخط الناشئة المصرية اسخطاً شديداً عليه وجعل احدها وهو الشاعر الذي تقدم ذكره يقول في تلك القصيدة

واذ ضربوا وسيفك لم يجرّد واذ دخلوا ونعلك في الركاب
واذ ملئت لك الدنيا نفاقاً وضافت بالغباوة والتغايي
واذ تُقنى المعالي بالتمني واذ يُغزى الاعادي بالسباب
واذ تُعطى الاريكة في النوادي وتُعطى التاج في هزل الخطاب

وبعد ذلك دخلت الجنود الانكليزية الى القاهرة وعادت السلطنة الى الخديوي توفيق وحوكم عرابي ورفاقه فحكم عليهم بالاعدام فاستبدل الخديوي هذا العقاب بالنفي الى جزيرة سيلان . فشيعة الناس يومئذ في مصر والشام باناشيد عامية كما يستقبلونه الآن بقصائد ومن تلك الاناشيد قولهم

ياديني وانت ديني يازهر البساتين
املي الكاسات واسقني بالسنة مرة
ياديني كتناكوت ياديني كتناكوت
عرابي باشا عما يموت كشحوه برا

وما زال عرابي باشا ورفاقه في جزيرة سيلان حتى صدر العفو عنهم في هذا العام من الجناح الخديوي المعظم مولانا عباس باشا الثاني فاخذوا يعودون الى وطنهم الذي غادروه في حال ويمجدونه في حال

✽ منفاه ✽ اما «سيلان» التي كانت منفى عرابي ورفاقه فهي جزيرة انكليزية في جنوبي الهند عدد سكانها ثلاثة ملايين نفس وربع مليون وعاصمتها مدينة «كولومبو» . ولهذه الجزيرة تمدن قديم تدل عليه الآثار القديمة التي لا تزال فيها . وقد روى العالم الطبيعي الروماني بلين الكبير ان جزيرة «تايروبانه» (كما كانوا يسمون سيلان في تلك الايام) اوفدت اربعة سفراء الى الرومانيين للتقرب من حكومتهم . وقد ساح في سيلان السائح الصيني (فاهيين) في القرن الرابع لليلاد المسيحي وكتب تفاصيل رحلته وفيها من الاعجاب بفخامة بنيان مدينة (انوراداروبا) التي كانت عاصمتها واتساع عمرائها ما يدل على مبلغ حضارتها في ذلك الزمان . ويقال ان هذه المدينة كانت محاطة بصور عظيم يضم بين جدرانها مساحة ٢٥٠ الف ميل وقد تم بناؤه في القرن الاول لليلاد . وآثار هذه المدينة باقية الى اليوم

اما سكان هذه الجزيرة فهم خليط من الفداهيين والسنجاليين . والاولون قبائل متوحشة تعيش في الجبال والاحراش والآخرون متمدنون بعض الشيء . وكان قرصان العرب يشنون الغارة على سيلان قبل عام ١٥٠٥ ويعودون منها بالاسلاب والكنائس فبعد هذا التاريخ نزل البرتغاليون في الجزيرة وحالفوا ملوكها فكانوا اول مستعمرين لها . ثم قلب البرتغاليون ظهر المجن للسكان واستولوا على شواطئ الجزيرة كلها وفي عام ١٦٠٢ جاء الهولنديون واتحدوا مع السكان عليهم فغصبهم الشواطئ وحلوا محلهم . وفي القرن الثامن عشر جاء الانكليز في نوبتهم وحلوا محل الهولنديين فطردوهم عن آخرهم في عام ١٧٩٥ وفي عام ١٨١٥ استقلوا بالجزيرة وخلصوا ملكها الذي كان وطنياً وكان يدعى ملك قنديا نسبة الى احدى مدن الجزيرة

ولسيلان اليوم اهمية تجارية عظيمة لانها طريق جميع السفن التي تسير الى الهند والشرق الاقصى ولذلك ينتظر ان يكون ثغر كولومبو عاصمتها من اعظم ثغور العالم في المستقبل . ويقدر عدد سكان هذه المدينة بمائة وستين الف نفس . وفي الجزيرة غير سكانها الاصليين والنزلاء الاوروبيين كثيرون من المغاربة والجاوايين والصينيين والهنود . وفيها معاوص للتجارة الثمينة

الامُّ وابنتها

* اخلاق الامبراطورة فردريكة *

لم تكد نحمد جمة الحزن على كبيرة ملكات العالم وملوكه الملكة والامبراطورة فيكتوريا حتى انقذت جمة حزن اخرى على ابنتها الامبراطورة فردريكة والدة الامبراطور غليوم الثاني . وبما اننا اقلنا باب « مشاهير المتقدمين والمتأخرين » في هذا الجزء دون ان نذكر فيه ترجمة سيدة مشهورة كما وعدنا في الجزء الماضي فاننا نعود في هذا الفصل الى ما فاتنا هناك لاطلاع القراء على لمع من اخلاق الامبراطورة فردريكة وما قاسته في حياتها من العناء ولا سيما مع البرنس بسمارك الذي كان خصماً شديداً لها ليعلم الناس ان المصائب والمتاعب لا تقتصر على اكواخ الفقراء بل انها تشمل قصور العظماء

واقعد تزوج البرنس فريدريك غليوم ولي عهد المانيا بالبرنس فردريكة وهي في زهرة الشباب فكان المستقبل باماماً في وجهها . ولكنها ما نزلت في البلاط الالماني حتى علمت بما

سئاسيه فيه من العناء . فان اهل البلاط كانوا ينظرون اليها نظرهم الى شخص غريب عنهم
اذ لم يكن من الفة يومئذ بين الالمان والانكليز . وكان اشد هم وطأة عليها البرنس بسمارك
فانه كان يراقبها اشد مراقبة لانها كانت زوجة ولي العهد ويخشى ان يكون لها تاثير سيء
على زوجها . وكان يسميها « تليدة غلادستون » او « الانكليزية » او « الاجنبية » ويجعل
جرائده تحمل عليها حملات شديدة . ولذلك قالت فردريكة في ذات يوم قولاً يدل على
مبلغ سخطها عليه . فانها كانت يوماً في قصر بوستدام فطلبت ماءً فنهض البرنس
بسمارك بنفسه وجاءها بكأس ماء على طبق . فالتفت فردريكة الى احدي نساءها وقالت
لها : ان هذا الرجل جعلني اذرف دموعاً بقدر ما في هذه الكأس من الماء . وكان ذلك
في عام ١٨٦٧

ثم كانت حرب السبعين فبلغ بسمارك بعدها اوج العز والعظمة فازداد مراقبة للاميرة
فردريكة لاسيما وان زوجها البرنس فردريك غليوم اصيب بداء السرطان في حنجرته .
وقد كتب بوش صديق بسمارك في مذكرته عنه انه قال ما نصه « نحن سيئو البخت في مسألة
الزواج . فانه اذا تزوجت اميرتنا بامراء اوربا وملوكها انخرن الى وطنهم الجديد كل
الانحياز كالاميرة الالمانية التي اقترنت بملك بافاريا واعنقت المذهب الكاثوليكي والاميرة
الثانية التي اقترنت بالقصر واعنقت بالمذهب الارثوذكسي . اما الاميرات الاجنبيات
اللواتي يتزوجن بامرائنا فانهم يبقين على الانحياز الى وطنهم القديم ويفضون مصلحته على
مصلحة المانيا نفسها . مثال ذلك هذه الانكليزية » يعني البرنس فردريكة

وفي اثناء ذلك كانت البرنس منصرفة الى العناية بزوجها المصاب . فكانت تسهر على
فراشه ليلاً ونهاراً بنشاط يدل على حبها له ومعرفتها واجباتها . وكان الامبراطور غليوم
الاول قد شاخ والالمانيون يتوقعون وفاته من عام الى عام ولذلك كان الاهتمام بمرض ولي
العهد البرنس فردريك غليوم عظيماً جداً . وكان على فراشه فريقان من الاطباء فريق
انكليزي وفريق الماني فكان الدكتور الانكليزي يتهم الالماني بالجهل والالماني يتهم
الانكليزي بالمضاربة بالبورصة على حياة وارث الملك . ولما انفقوا على اجراء عملية جراحية لولي
العهد اختلفوا على الانبوبة التي تختار للعملية فالالمان طلبوا ان تكون المانية والانكليز طلبوا
ان تكون انكليزية ورغبة في التوفيق بين الفريقين تقرر جعل الانبوبة اميركية بناء على
طلب الدكتور توماس ايفان الاميركي

اما البرنس بسمارك فانه كان يقول في ذلك الوقت لبوش صديقه « ان مرضه السرطان



ولا نجاة من هذا المرض « فكانه كان مسروراً بذلك ليخلو له الجو في الامبراطورية . واما البرنس فردريك غليوم فانه ما كان يطمع في النجاة ولكنه كان يطمع في الوصول الى العرش ولو يوماً واحداً لمكافاة الاميرة فردريكة زوجته . ففي ٨ مارس من عام ١٨٨٨ ورد الخبر بوفاة الامبراطور غليوم . وكان الامير قد تعافى قليلاً بعد العملية الجراحية . فاجتمعت حاشيته كلها في قاعة القصر وفي جملتها الاميرة فردريكة والامير فردريك زوجها الذي صار امبراطوراً خلفاً لايه . فاخذت الاميرة فردريكة تبكي . وكان بكاءها لسببين الاول حزنها على وفاة الامبراطور غليوم الاول والثاني ذكرها الاهداءات التي لحقت بها من البرنس بسمارك قبل وصولها الى العرش الامبراطوري . وكان الجميع مطربين في تلك الساعة ينتظرون كلام « الامبراطور الجديد » واذا به قد نهض الى المائدة ووقع بيده على المنشور الامبراطوري المؤذن بارتقائه الى العرش . ثم دنا من فردريكة وفي يده حمائل وسام النسر الاسود فطوق عنقها به بهيئة جدية . فانطرحت فردريكة بين ذراعيه وصارت تبكي . فالتفت حينئذ « فردريك الثالث » الى اطبائه وقال لهم . اشكركم لانكم جمعتموني احيا الى وقت استطيع فيه مكافأتها على اخلاصها وحبها

غير ان « الامبراطور فردريك كان لا يزال مريضاً بدائه . وكان نجله وولي عهده البرنس غليوم (الامبراطور غليوم الحالي) من مريدي بسمارك والمعجبين به في ذلك الزمان ففي يوم عيد البرنس بسمارك شرب الامير غليوم نخبه بهذه العبارة « ان الامبراطورية الالمانية تشبه اليوم سفينة ربانها جريج ملقى امام الدفة . ففي وسط حزننا الحاضر يجب ان نوجه انظارنا الى حامل رايتنا وعمدة سياستنا اعني مستشار الامبراطورية العظيم . امد الله في عمره »

فكان البرنس غليوم كان مع البرنس بسمارك على والدته . وليس ذلك بغريب فقد روي عنه انه قال منذ سنوات « من لي بمن يتزعج هذا الدم الانكليزي من عروقي » ولعل ذلك لا يخلو من مبالغة

ومن اقوال البرنس بسمارك في الامبراطورية فردريكة « ان هذه المرأة تخلق انكار زوجها بكثرة كلامها . فانها لا تفتأ تنصحه وتعظه وهو ضعيف عن مقاومتها . ولو لم اكن انا ساهراً على راحته ومسعداً كل حين للدفاع عنه لكان خطبه كبيراً » وقد روى هذا الكلام بوش المذكور آنفاً . ومما رواه ايضاً عن لسان البرنس بسمارك قوله « انني اخشى من سلطة هذه المرأة على رجلها وشدة طاعته لها » قال شارح هذا القول فكان بسمارك كان



* الامبراطورة فردريكة *

ام امبراطور المانيا واخت ملك انكلترا

يكره كل شيء للامبراطورة حتى اتفاقها مع زوجها

ولكن لم يتسن لهذه الامبراطورة المسكينة ان تنال المنزلة التي كانت تطمح لها في امبراطوريتها والتي كان يحشى بسمارك من وصولها اليها لان زوجها الامبراطور فردريك الثالث توفي بالسرطان بعد انقضاء اربعة عشر اسبوعاً على ملكه فدخلت زوجته الامبراطورة

في زاوية النسيان . ولم تستطع الانتقام من بسمارك الا مرة في حياتها . ذلك انه لما قام النزاع الشديد بين الامبراطور غليوم الحامي والبرنس بسمارك واعيت البرنس الحيل في افناع الامبراطور بالعدول عن سياسته رأى ان يتخذ لذلك آخر حيلة في يده . فقصد الامبراطورة فردريكة وسالها التوسط بينه وبين ابنها . فرفعت راسها بعظمة واجابته — انك قاومتني في حياتي ووضعت من الحواجز بيني وبين ابني ما يجعلني الآن بلا سلطة عليه فاذا كنت عاجزة عن افادتك الآن فالذنب لك لا لي . فانحنى بسمارك وخرج صامتاً . وفي اليوم التالي اعلن استقالته

والظاهر ان داء السرطان الذي قتل زوجها قد سرى اليها ايضاً فماتت به في اوائل الشهر الماضي بعد مرض طويل اختتم حياتها بالعذاب كما مرت بالعذاب . ولذلك تمنى اخوها جلالة الملك والامبراطور ادوار السابع امام اعضاء مؤتمر السل حين مقابلتهم اياه ان يكتشف احد العلماء دواء للسرطان فيجئد اسمه بهذا الاكتشاف

نشر صفحات مطوية

بلاد مصر

﴿ وكيف كان يصفها كتاب العرب ﴾

« ذكرت مصر في القرآن العزيز في اكثر من ثلاثين موضعاً كما قاله السيوطي في كتابه حسن المخاضرة في اخبار مصر والقاهرة بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية وقد ورد في مصر عدة اخبار منها ما روي عن كعب بن مالك عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا افتتحم مصر فاستوصوا باهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً . وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتحون مصر وهي ارض يسمى فيها القبط فاستوصوا باهلها خيراً فان لهم ذمة ورحماً . وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم فاتخذوا بها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير اجناد الارض فقال ابو بكر ولم يارسول الله قال لانهم اوز واجهم في رباط الى يوم القيامة

وكما حديث ان مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها داراً فانه يساق اليها اقل

الناس اعماراً فهو حديث منكر جداً وقد اورده ابن الجوزي في الموضوعات
ومن الآثار الموثوقة في فضل مصر ما اخرج به ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمرو قال
قبط مصر اكرم الاعاجم كلها واسمهم بداً وافضلهم عنصراً واقربهم رحماً بالعرب عامة
وبقرش خاصة ومن اراد ان ينظر الفردوس او ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى ارض
مصر حين تخضر زروعها او تنمو اثمارها . واخرج ابن عبد الحكم عن ابي رهم السماعي الصحابي
رضي الله عنه قال كانت مصر فناظر وجسوراً بنقديرو تدبير حتى ان الماء ليجري تحت منازلها
وافيتها فيسكونه كيف شاؤوا ويرسلونه كيف شاؤوا فذلك قوله تعالى فيما حكى عن فرعون
أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون . ولم يكن في الارض يومئذ
ملك اعظم من ملك مصر وكانت الجنات بجانب النيل من اوله الى آخره من الجانبين جميعاً
ما بين اصوان الى رشيد سبعة خليج . خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج
منف وخليج النيوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا ينقطع منها شيء والزرع ما
بين الجبلين من اول مصر الى آخرها وكان المسافر يسير من اسكندرية الى اصوان بلا
زاد في ظل واشجار وفواكه الى ان يصل الى مدينة اصوان

وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما قال لما خلق الله تعالى آدم مثل له الدنيا شرقها
وغربها سهلها وجبالها وانهارها وبحارها وبنائها وخرابها ومن يسكنها من الامم ومن يملكها من
الملوك فلما رأى مصر رأى ارضاً سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة
وتمزجه الرحمة ورأى جبلاً من جبالها مكسواً انواراً لا يخلو من نظر الرب اليه بالرحمة في
سفحه اشجار مثمرة فروعها في الجنة تستقي بالرحمة فدعا آدم في النيل بالبركة ودعا في ارض
مصر بالرحمة والبر والتقوى وبارك في سهلها وجبالها سبع مرات

وعن عبد الله بن سلام قال مصر ام البركات تعم بركاتها من حج بيت الله الحرام من
اهل المشرق والمغرب وان الله تعالى يوحي الى نبيها في كل عام مرتين عند جريانه بوحى اليه
ان الله يامرك ان تجري فيجري كما يؤمر ثم يوحي اليه ثانياً ان الله يامرك ان تغيض
حميداً فيغيض . وان بلد مصر بلد معافاة واهلها اهل عافية وهي آمنة ممن يقصدها بسوء .
ومن ارادها بسوء كبه الله على وجهه ونهرها نهر العسل ومادته من الجنة وكفى بالعسل
طعاماً وشرباً .

وعن كعب قال في التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلها من ارادها بسوء قصمه
الله . وعن عقبه بن مسلم ان الله يقول يوم القيامة لساكني مصر يعدد عليهم النعم اما

اسكنتمكم مصر فكنتم تشبعون من خيرها وتروون من مائها . وقال ابو الربيع السائح نعم
البلد مصر يُحج منها بدينارين ويُغزى منها بدرهمين يريد الحج من بحر القلزم والغزو الى
الاسكندرية وسائر سواحل مصر

وقيل ان يوسف عليه السلام لما دخل مصر واقام بها قال اللهم اني غريب فخبها الى
كل غريب فمضت دعوته فليس يدخلها غريب الا احب المقام بها .

وكان بها من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب
عدة منهم افلاطون وبطليموس وسقراط وارسطاطليس وجالينوس وكان في الازمنة الاولى
يذهب الى مصر ارباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم على الزيادة وقوة الذكاء وولد بها عدة
من الانبياء وهم موسى واخوه هرون ويوشع بن نون

ودخل اليها عيسى وتوجه الى الصعيد ثم اقام بقرية هناك تسمى اهناش ودخلها ايضا
ابراهيم الخليل ويعقوب ويوسف والاسباط وارهيا ودانيال ولقمان الحكيم عليهم السلام .
ودفن بها من الصحابة والتابعين جماعة كثيرة وكان من اهلها مؤمن آل فرعون الذي اثنى
عليه الله في كتابه وكذا آسية امرأة فرعون وسحرة فرعون الذين آمنوا في ساعة
واحدة مع كثرتهم .

وقال المسعودي ان كل قرية من قرى مصر تصلح ان تكون مدينة على افرادها . وقال
القضاعي لم يكن في الارض اعظم من ملك مصر فانها لوزرعت جميعاً لوفت يجزاج الدنيا
باسرها ويوجد في مصر في كل شهر نوع من المأكول او المشوم فيقال رطب توت ورماني
بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه ورميس اي خروف امشير ولبن برمات وورد
برموده ونبق بشنس وتين بونه وعسل ايب وعنب مسرى . والسبع زهرات التي تجتمع في
اواخر الشتاء في وقت واحد ولا تجتمع في غيرها من البلاد وهي الترجمس والبنفسج والورد
النصبي والمجاني وزهر النارنج والياسمين والنسرين

وان اهل مصر الغالب عليهم الافراح واتباع الشهوات والانهاك في اللذات وتصديق
المحالات وفي اخلاقهم رقة وعندهم بشاشة وملقة ولا ينظرون في عواقب الامور وعندهم قلة
الصبر في الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالامور المستقبلية
قبل ان تقع . ويقال مصر باقولها . ذكر ذلك في جواهر البحور »

(لعبد الله بن حجازي الشرقاوي)

باب تدبير الصحة

صدقت النساء المقرّبطات

واخطأت الضاحكات

تُطلق في اللغة العامية كلمة « المقرّبطات » في مصر والشام على فريق من النساء مصابات بسر سبب النظافة والغسل . فاذا قيل « امرأة مقرّبطة » حضرت في ذهن صورة امرأة لا همّ لها غير النظافة في البيت . فهي تحف بلاط الدار وارض المنازل بالرمل وتغسلها بالصابون أكثر من مرة في الاسبوع . ولا تسمح لاحد ان يدوس فيها بجذائه واذا اتفق وداس فيها زائر عزيز تستحي من تعنيفه وردعه انتظرتة حتى يخرج من بيتها فتحمل الصابون وتأخذ بغسل آثار اقدماءه في البلاط والبيت . وقد تبلغ أحياناً في هذا التنظيف فاذا زارتها احدى رفيقاتها وسلمت عليها غسّلت بعد ذلك فمها ويديها بالصابون وغسّلت المكان الذي جلست فيه زائرتها . واذا مس ثوبها في السوق ثوب شحاذ او غيره هربت الى البيت وغسّلت الجانب الممسوس بالصابون . وفضلاً عن ذلك فان لها في المنزل غرفة خاصة بها وهي تكاد تكون حرماً على الجميع حتى على اولاد المنزل وخدمه ولا يدخلها احد قبل ان يغير ملابسه و يغسل بالماء والصابون . وذلك على طريقة براهمة الهنود غير ان هؤلاء يغسلون الذي يرومون تطهيره ببول البقر وبش هذا التطهير

اما رفيقات هذه المرأة فانهن يضحكن منها ويستهنّرن بها في خلواتهن . ورغبة في اظهار « خرفها » تقول احداهن ان زوجي يدخل لابساً حذاءه حتى سرير النوم . وتلك تقول ان اخي لا ينزع حذاءه من قدميه طول النهار بل يروح به ويعدو على فرش البيت واثاثه . وبعضهن لا يكتفين بهذا الانتقاد بل يعمدن الى المازحة والمداعبة . فقد سمع ان احداهن بعثت من يرمي في السر في بلاط دار احدى اولئك المقرّبطات جرذاً ميتاً فلما ابصرت صاحبة الدار الجرذ على البلاط اغمي عليها في الحال

فمن المصيب من هذين الفريقين . المقرّبطات ام الضاحكات

لا ريب في ان كثيرين من الضاحكات يستغربن جداً ما سنقله في هذه النبذة .

فان العلم قد اثبت ان الحق في ذلك في جانب المقرّبطات وان النساء مهنها بالغن في اجتناب
الاقدار ودفع ما ياتي من السوق والشوارع فانهن يبقين مقصرات

ان كل مريض من المرضى بالمدينة . كل مصاب بالسل والجذام والتنانوس والسرطان
والطاعون (في اوقات الطاعون) والجدرى (في اوقات الجدرى) وغير ذلك من الامراض —
كل مصاب بها يمشي في السوق والشوارع ويعاشر الاصحاء ويصق في الطرق . وهذا
البصاق يحف مع تراب السوق ثم يتطاير معه عند اقل نسمة ريح فيقع على المارين
ويلصق باحذيتهم واطراف بنطلونات الرجال وذبول فساتين الرجال . فتى عاد هؤلاء
الى المنازل عادوا وهم يحملون اقبح الهدايا معهم . فاذا « صوبت » المرأة « المقرّبطة »
آثار اقدام زائرها او زائرتها فربما تكون قد ازال ذلك من موقع القدم جرائم عدة
امراض . وفضلاً عن ذلك ان الاطباء فحسوا المركبات العمومية في اكثر الممالك ومركبات
الترامواي والاولومنيوس ومرافد السفن البخارية والقطارات فوجدوا فيها كلها جرائم
الحى والسل والسرطان وغيرها . وقد بحث اطباء الجزائر من عهد قريب في النظافة في
الكنايس والجوامع فيها فوجدوا في ارضها كثيراً من جرائم الادواء ولا سيما في الكنايس
لان النظافة في الجوامع الجزائرية كانت اشد من النظافة في كنائسها . وفحصت بعض
الايقونات فوجد عليها كثير من الميكروبات التي تنتقل الى الانسان عند ثقبه اياها . وقد
يكون الانسان ماراً في طريقه فلا يشعر الا بالبسط والفرش تنفض من النوافذ فوق راسه
والله اعلم بما فيها من ميكروبات الامراض التي تمتزج بالهواء ثم ترسب على الارض وما
فوقها من الحوانيت والمخازن . فلا شيء اقبح من هذه العادة عادة نقض الاشياء من نوافذ
المنازل كما انه لا شيء اقبح من عادة اصحاب الحوانيت والمخازن الذين يبسطون بضائعهم
وفما كتهتهم امام حوانيتهم تحت تلك المنازل التي ترسل عليهم كل حين صواعق
الميكروبات . وما كان اعظم فضل المجالس البلدية لو كانت نقضي بان لا تبسط تلك الاشياء
الا ضمن بيوت زجاجية . والانكى من ذلك كله انك تكون سائراً في شارع شريف باشا
مثلاً مطمئن البال فلا تشعر الا واحد الساقة (العربية) قد تناول من مركبته البساط
الذي يوضع في المركبة تحت اقدام الركاب واخذ ينفذه في عرض الشارع فينقع منه غبار
كثيف حامل اكثر انواع الميكروبات القاتلة كما يحمل الغيم الكثيف الصواعق المهلكة .
فهل يجوز لك بعد ذلك ان تلوم النساء المقرّبطات على محاربتهن تلك الآفات بالماء والصابون
ولكن باللاسف ان منازل « المقرّبطات » نفسها قد تكون اعشاشاً لميكروبات الامراض

التي ترتفع في الرطوبة و يلد لها التكاثر فيها . فلماء والصابون لا يُجديان إذا نفعاً عظيماً ولا كل انواع المظهرات لان الجراثيم فاشية في كل مكان في السوق والشوارع والقهاوي والحانات والفنادق واللياترات والكنايس ولجوامع والمركبات وفي كل الاماكن العمومية اذ لا سبيل الى منع المرضى بالامراض المختلفة من الذهاب الى الالماكن التي تقدم ذكرها لانها عمومية . ولا يبعد ان ياتي يوم تنشأ فيه الهيئة الاجتماعية مستشفيات نجانية الزامية لعزل المرضى فيها ومعالجتهم باحسن مما يعالجون به انفسهم استثناء الجراثيم الادواء التي يشتد فتكها في الناس ويعمهم بلاؤها . ولكن قبل ان تنشأ هذه المستشفيات لا سبيل لحفظ الاجسام من تلك الجراثيم العامة الطامة الا بطرق دفاعية . ورأس هذه الطرق الدفاعية (١) حسن التغذية وهو امر في غاية الاهمية (٢) اطلاق الشمس والهواء في المنازل والخروج لاستنشاق الهواء النقي في الخلاء ساعة او ساعتين في النهار مع الرياضة الجسدية (٣) عدم التعرض لمنهكات الاجسام ومضعفاتها كالسهر الطويل وعلى الخصوص اذا كان يخالطه اللعب بالورق والمسكر (٤) النظافة التامة وتخصيص غرفة لنفض الثياب فيها والامتناع من الدخول الى غرف المنزل بالحذاء الذي تدوس به في كل مكان خارجاً

فاذا حفظت هذه الوصايا حفظت تماماً كنت اكثر مقدرة من « المقرّبات » على مقاومة جراثيم الادواء بل كنت قادراً على اقتحام تلك الجراثيم ومخالطة المرضى دون ان تخشى شراً لان جسمك يقوى بتلك المعيشة قوة تجعل الجراثيم عاجزة عن التأثير فيه . وهذا خير دواء عند الاطباء

الدكتور كوخ والسل

وشجاعة طبيب فرنسوي

لخصنا في الجزء الماضي شيئاً من اعمال مؤتمر السل الذي عقد في لندن ووعدنا بالعودة اليه خصوصاً الى ما ذكره الدكتور كوخ الالماني المشهور بان السل الذي يصيب البقر لا يعدي الانسان . وكان الاطباء ولا يزالون يعتقدون بان السل البقري معدٍ ولذلك يراقبون البقر المصابة مراقبة شديدة ويوصون باغلاء كل لبن قبل شربه . اما الادلة التي استند اليها الدكتور كوخ فهي تجارب اجراها في بعض العجول في المانيا . فانه جاء بميكروب السل البشري وحقق به العجول فلم يظهر السل فيها بل بقيت في صحة تامة فجاء بميكروب سل

البقر وحقن العجول به فلم تمض عليها ايام حتى ظهر بها السل البقري وتوفي بعضها . فاستنتج من ذلك ان سل البقر غير سل البشروان الاول لا يؤثر في الثاني كما ان الثاني لا يؤثر في الاول . وما دعم به هذا الراي ان السل البقري اذا كان ينتقل الى الانسان وجب ان يكون ظهوره في الامعاء . وقد فحص هو وغيره من العلماء كثيرين من المصابين بالسل فكانت نسبة المصابين في امعائهم الى المصابين في صدورهم قليلة جداً مع ان ميكروبات السل البقري كثيرة الوجود في اللبن والزبدة

وقد ذكرنا فيما مر ان الاطباء في كل البلاد دهشوا واي دهشة من كلام الدكتور كوخ . وقد رد عليه بعضهم ضمناً في الخطاب التي القيت في المؤتمر فاثبتوا ان وفيات السل في انكلترا قد نقصت في الاعوام الاخيرة ٤٠ في المائة لاهتمام حكومتها بجعل المساكن نظيفة كثيرة الهواء ولكن وفيات الاطفال زادت ٢٠ في المائة وسبب هذه الزيادة عدم اهتمام الحكومة الانكليزية بمراقبة البقر المسالمة فكثرت وفيات الاطفال الانكليز بدائها الذي كان يصيبها بالامعاء عند شربها لبنها

ولا يخفى ان هذه الحجة حجة مقنعة اذا ثبت ان زيادة المسؤولين من الاطفال في انكلترا ناشئة عن تدرن امعائهم من تأثير لبن البقر المسالمة . ولكن الدكتور كوخ لم تقنعه هذه الحجة فبقى ثابتاً على رايه فتصدى له حينئذ الدكتور كارنول احد الاطباء الباريزيين المعروفين وكتب اليه الكتاب التالي

» ايها المعلم المحترم

» اتيت طائعا مختاراً اقدم لك نفسي لتجرب في تجربة بان تحقني بميكروب السل البقري انرى اذا كان هذا السل ينتقل من الحيوان الى الانسان ام لا . وانا اعتقد انك مخطئ في الراي الذي رايته ومتحقق انني ساصاب بالسل من تجربتك . ولكني قلنا اتاسف لذلك اذ ليس لي ولد وانا الآن في الواحدة والاربعين من عمري وثقلي مائة كيلو واطولي متر و٨١ سنتيمتراً وصحتي جيدة جداً وان كنت في ريب من ذلك فامتنحي بمادة التوبركولين (وهي مادة يعرف بها اذا كان الرجل مسلولاً او لا)

» وان الناس في المعارك الحربية يقدمون انفسهم الوقاً الوقاً لموت محقق . فانا وان كنت معتقداً بانني ساصاب بالسل من تجربتك ارى ان الانسان في ساحة العراك في الحياة الاجتماعية يستطيع ان يصنع صنع اولئك . فانا الآن تحت طلبك سواء في باريز او برلين ولك الخيار في الشروط التي ترومها

ولما نشر كتاب هذا الدكتور قرصه زملاؤه بلواذع التهم وقال الدكتور برواردل المشهور في حديث له ان لا فائدة من هذه التجربة لان الدكتور كارنول قد يكون ذا بنية قادرة على مقاومة ميكروب السل فلا يصاب به وان كان السل البقري يعدي الانسان وفضلاً عن ذلك فان التجربة في الانسان امر غير جائز شرعاً

وقد مضت على الدكتور كارنول خمسة ايام بعد ارساله هذا الكتاب الى الدكتور كوخ دون ان يردده جواب منه فاستنتج من ذلك ان الدكتور كوخ لا يريد ان يجرب ذلك فيه فقال انه يجربها هو نفسه بنفسه فقال له الدكتور نيكار صاحب الشأن فيما يخص بزدركات ميكروبات المواشي انني لا اعطيك شيئاً من الميكروبات البقرية للتجربة . فقال الدكتور كارنول انه يسافر اذاً الى لندن واذا لم يقبلوه في لندن ايضاً سافر الى اميركا حيث يحترمون الحرية الشخصية اشد احترام فيتركونه يصنع بنفسه ما يشاء . ثم قال لمحدثه انني لا اعدل عن هذه التجربة مطلقاً الا متى اعترف الدكتور كوخ بخطئه فقبل له وهل انت تحدث الآن مشكلة المانية فرنسوية بين اطباء برلين وباريز فقال كلا وانما اريد ان ابرهن على خطأ كوخ وان اصبحت بالسل فاني قادر على الشفاء منه بعد ذلك بما لدى العلم والطب من الوسائل . ومن العجب ان يمنعوني عن تقديم نفسي للموت افادة العلم حالة كونهم يجندون في كل عام مئات الوف من الناس ويسوقونهم للموت من غير رضاهم واختيارهم .

ولما ابطأ الدكتور كوخ في الجواب ركب الدكتور كارنول القطار وسافر الى برلين لمقابلة كوخ قال الدكتور كارنول فلما تقابلنا اضطررنا كلانا لان الدكتور كوخ يريد ان نتكلم بالالمانية وانا اريد ان نتكلم بالفرنسوية فعدنا واتفقنا على الكلام بالانكليزية . فقال لي انه لا يستطيع ان يجرب في التجربة التي ارومها وفضلاً عن ذلك فانه لم يقل بان الحقن بميكروبات سل البقر لا ينقل السل البقري الى الانسان ولكنه قال ان شرب لبن البقر الموبوء بالسل لا ينقل ميكروبها اليه لان ميكروبات السل تكون ضعيفة في اللبن . فعاد الدكتور كارنول من برلين وفي نيته هذا الامر : ان يقيم في مكان يأخذ اليه بقرًا مصابة بالسل ويشرب من لبنها سنة كاملة بلا انقطاع ويجتهد في تكثير ميكروبات السل في اللبن الذي يشربه . فاذا مرّ العام ولم يصب بالسل كان كوخ صادقاً واذا اصاب به كان كوخ مخطئاً

وسواصل القراء بما يجده في هذه التجربة الغريبة التي تدل على ان العلم ابطالاً كما ان للحروب ابطالاً . والفرق بين الفريقين ان ابطال العلم يضحون حياتهم في سبيله وابطال

الحروب يضحون حياة غيرهم وشتان بين الاثنين
وبعد كتابة ما تقدم نقلت الشركات البرقية ان الحكومة الانكليزية عينت لجنة للبحث
في مسألة انتقال السل البقري من الحيوان الى الانسان والقطع فيها

آثار الشرق القديمة

العجل ابيس

﴿ الذي كان يعبد المصريون ﴾



ذكر العجل الذي كان يعبد المصريون في كتب اليهود والمسلمين والمسيحيين . فقد

جاء في القرآن " واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم بانخذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فافتلوا انفسكم ذلك خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم " وجاء ايضا " ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون . واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بسما يامركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين " وورد في التوراة بشأن عبادة العجل ما خلاصته

" صعد موسى الى جبل سيناء ليتلقى اوامر الرب في شعبه فاستبطأ الشعب وكانه قطع الامل من عودته فاجتمع على هرون وقال له قم اصنع لنا آلهة تسير امامنا لان هذا موسى الذي اصعدنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه . فامرهم هرون فنزعوا كل اقراط الذهب التي في آذان نسائهم وبناتهم وبناتهم وصنع منها عجلاً مسبوكة وبنى مذبحاً امامه ونادى غداً عيد للرب . فاجتمع الشعب وقال هذه آلهتك يا اسرائيل التي اخرجتك من ارض مصر . وفي الغد قدموا ذبائح سلامة للاله الجديد وجلسوا ياكلون ويشربون ثم قاموا بالعبادة

وبعد مدة نزل موسى من الجبل ومعه يشوع فقال يشوع حين سمع صوت الشعب انني اسمع صوت قتال في المحلة فقال موسى بل ذلك صوت غناء . ثم اقتربا من المحلة فابصر موسى العجل فاستشاط غضباً فاخذ العجل واحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعماً وذراه على وجه الماء وسقى بني اسرائيل . ثم وقف في باب المحلة وقال : من للرب فالي فاجتمع اليه جميع بني لاوي . فقال لهم « هكذا قال الرب اله اسرائيل ضعوا كل واحد سيفه على فخذه ومروا وارجعوا من باب الى باب في المحلة واقتلوا كل واحد اخاه وكل واحد صاحبه وكل واحد قريبه ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى فوقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة الاف رجل . وقال موسى املاوا ايديكم اليوم للرب حتى كل واحد بابنه وباخييه فيعطيك اليوم بركة »

فمن ذلك تتضح شدة استنكار بني اسرائيل يومئذ عبادة الاوثان على ما ورد عنهم في كلام رنان في صدر هذا الجزء كما يتضح منه ايضا تهافت العامة في كل مكان على المعبودات المحسوسة لعدم صبرها على المعبودات التي لا تراها الا بالفكر والتأمل . ولو لم يخلص بنو اسرائيل من تلك العبادة الشائنة لاختفى تمدنهم في مهده ولم يكونوا شيئاً مما كانوا بعدئذ . والظاهر انه حدث شقاق عظيم بين الشعب بشأن هذه العبادة فبعض كان يطالبها وبعض

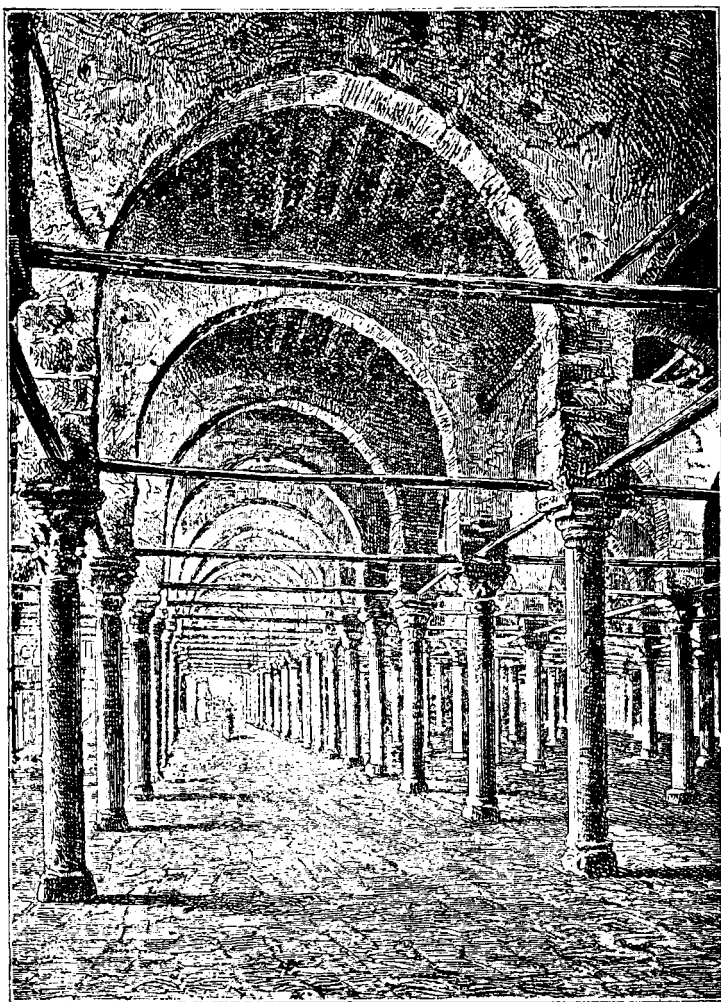
كان بكرها فانضى ذلك الى تلك المذبحة الدموية الهائلة . وما لا ريب فيه على ما جاء في كلام رنان ان شيوخهم كانوا في جانب المقاومين للديانة الجديدة
وغني عن البيان ان بني اسرائيل اقتبسوا عبادة العجل من المصريين يوم كانوا في اسرهم . وكانت عبادة العجل شائعة في مصر اشد شيوخ . وكانت نوعين نوعاً في منفيس وكان عجلها يدعى (ايبس) ونوعاً في هليوبوليس وكان عجلها يدعى منيفيس . وكان المصريون يرمزون بالعجل الى الشمس فكانوا يعبدونها بعبادته ويكرمونها لما لها من المقدرة على الخلق من نفسها وتوزيع القوة والحياة في العالم . وكانوا يتخذون العجل تارةً عجلًا كاملاً وطوراً عجلًا براس انسان ويسمون كل عجل يعبدونه (ايبس او هابي) فليس اذا اسم ايبس خاصاً بعجل واحد ولا يجب ان يقال العجل ايبس لان كلمة ايبس تطلق كما تقدم على العجل ذي الراس الحيواني والعجل ذي الراس الانساني معاً .

وقد كان المصريون في اثناء عبادتهم للعجل يكرمون العجول اشد اكرام فكانوا يحافظون عليها ويصونونها متى ماتت دفنوها باحتراف عظيم . وقد كانوا في بدء هذه العبادة يعرضون العجل في الهيكل على جميع الانظار ولكن لما رسخت قدمهم في المدينة واراد ملوكهم اظهار ابيتهم وعظمتهم اخذوا في توسيع الهياكل وزيادتها فخصصوا منها مكاناً داخلياً لاقامة العجل مبالغة في احترامه وجعلوا فيه طرقاً سرية لاجراجه منها لقضاء حوائجه لئلا يرى الشعب اقداره فيضعف احترامه في نفوسهم . وقد اكتشف ماريت باشا في عام ١٨٥١ قبراً خفياً قرب منفيس كان مدفناً للعجول المقدسة وجيء باحد تلك العجول الى المتحف الاسكندري في الثغر ولا يزال فيه الى اليوم . وقد وضعنا رسمه في هذا الفصل زيادة في الفائدة

البناء عند العرب

جامع عمرو في العاصمة الذي بنيت باقي الجوامع على منواله . جامع قائد بك
انجر الابنية العربية . مدافن السلاطين في العاصمة

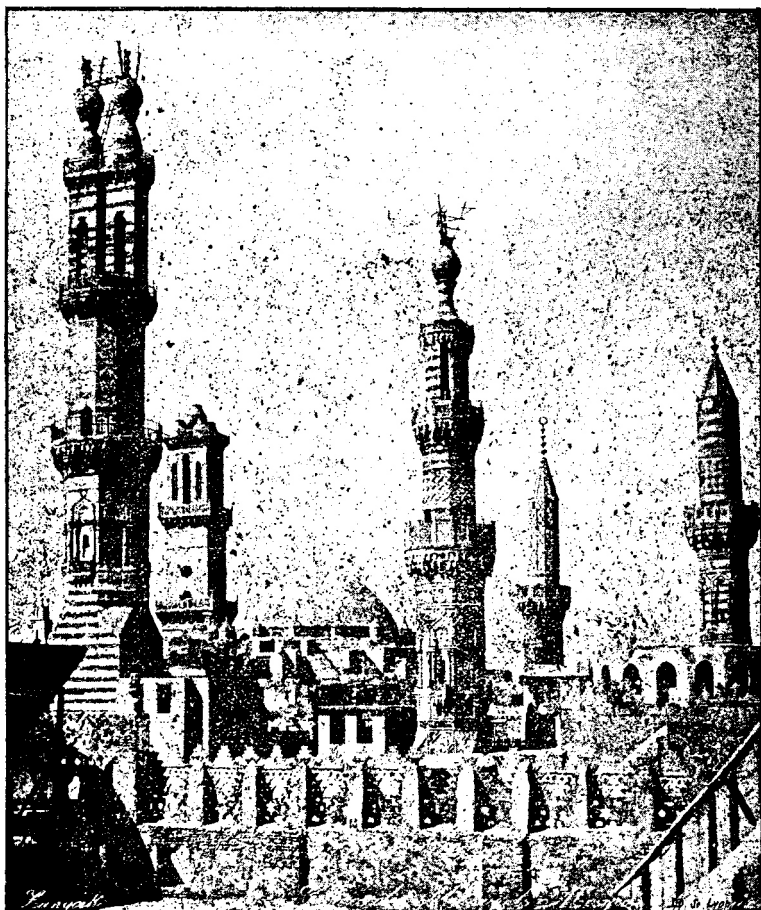
كان للعرب في البناء شان عظيم ولا يزال الافرنج يفقدون ابنتهم الى اليوم ليقبسوا منها ما رسمته الخيلات العربية . واول ابنتهم الفخيمة الجامع الاقصى في بيت المقدس ثم جامع عمرو في القاهرة بناء عمرو بن العاص في سنة ٢٠ للهجرة بعد فتح مصر فكان آية في نغامة البنيان واحكام الصناعة وحسن الهندام
وقد بناء عمرو فوق اعمدة قديمة رومانية وبيزنطية وجعل مساحة ارضه ١٢٠ متراً



* جامع عمرو في القاهرة *

مربعاً . وعلى منواله بنى البنائون جوامع المدينة ومكة وجامع ابن طولون والازهر وجامع زيتونه في تونس وجوامع القبروان والجزائر ومراكش والاندلس .

ويروى ان عمرو بن العاص لما اراد بناء جامعہ رأى ان البناء يمر في ارض ارملة يهودية فساومها ارضها فلم تبعها فاخذها بالرغم عنها فانصل الامر بالامام عمر فكتب اليه ان يعدل ولا يسير الا في الطريق المستقيم فاذعن عمرو وبعث في طلب الارملة اليهودية



﴿ منائر الجامع الأزهر في القاهرة ﴾

فزارها مدننا مدفناً وجامعاً ووصفها وصفاً رائعاً . فانه رسم بقلمه انعكاس اشعة الشمس على زجاج منائرها الشاهقة التي تنطح السحاب وقابل بينها وبين الاهرام التي هي مدافن سلاطين المصريين القدماء ايضاً (الفراعنة) فقال ان الفريقين اختارا الخلاء للنوم فيه نوماً ابدياً بعيدين عن ضوضاء المدينة . وقد لاحظ ان اولاد حراس المدافن كثيرون في تلك الجهات كان الحراس لا هم لهم ولا شغل غير « صنع » الاولاد . ثم وصف جامع برفوق في المدافن فقال انه آية في النخامة والجمال ولكنه فضل عليه جامع فائدبك (انظر الرسم) الذي هو جوهرة مصوغة من جواهر وكل حجر منه مصنوع ومثق بأسلوب سحر

لب ارباب الصناعة . ولكنه اسف جداً لان تلك الآثار العربية الفخيمة لا تُصان كما يجب بل ان الحجارة والجمالة والسياح والمارة وفوق ذلك يد الزمان — كلهم يعيثون بها عبثاً سيفضي الى اتلافها اذا لم تتلافها الحكومة . واذا تلفت تلك الآثار العظيمة فخسارة علم الآثار في العالم تكون كبيرة جداً .

ولا شيء يشبه مدافن السلاطين او مدافن الخلفاء كما يسمونها الا آثار القصر (الانكازار) في الاندلس وآثار الحمراء (الهلمبرا) فيها ايضاً . ولكتاب الافرنج في هذه الآثار وصف يستلج الاباب . وكلها بنيت على اصول الفن الافريقي لان فنون البناء كانت عربية وافريقية وفارسية وتُزاد عليها الافغانية والتركية حديثاً . غير انه لا بد ان يكون قد داخل النظام الافريقي شيء من النظام العربي والفارسي لان كثيرين من بنائي العرب والفرس في بغداد هجروا هذه العاصمة بعد استيلاء هلاكو سلطان التتر عليها مع العباسيين الذين قدموا الى مصر لاجئين اليها وعملوا في صنائعهم فيها . وقد نشرنا في هذا الفصل رسم جامع عمرو في العاصمة الذي نُسجت باقي الجوامع في افريقيا واسبانيا على منواله وجامع قائد بك الذي هو اغزر الجوامع العربية اليوم وجامع الازهر الذي هو اعظم مدرسة عربية اسلامية في هذا العصر . ومنها يرى القارىء نغمة تلك الآثار وبراعة العرب في الفنون الجميلة

﴿ المحرمات عند قدماء المصريين ﴾

ودينونة موتاهم

(الكلام الذي كان يلقيه الميت في اثناء الدينونة)

تُعرف الاشياء التي كانت محرمة عند قدماء المصريين من فقررة وردت في كتب الاموات الخاص بهم . فان الانسان بعد وفاته يطير الى المكان الرفيع الجالس فيه الاله اوزيريس وحوله اعوانه الاربعون فيمر في طريقه في جوهائل مملوءة بالارواح التي تحرس الكواكب . وحين وصوله الى مكان اوزيريس تبدأ دينونته فيأخذ الاله هور والاله انوبيس قلب ذلك الانسان ويزنانه ليعلم اُخفيف هو ام ثقيل وفي اثناء ذلك يتلو الانسان الواقف في الدينونة الكلام التالي لتبرة نفسه

« لم اسرق الناس قط . لم اعذب الارملة . لم اكذب في المحكمة . لم اكن ذا قصد ميء . لم ارتكب محرماً . لم اجبر العملة على ان يعملوا اكثر مما كان يجب عليهم ان يعملوا .

لم اكن مهملاً ولا بطلاً ولا ضعيفاً خائراً . لم اصنع ما يستخط الآلهة . لم اعلم العبدان
 بفر من سيده . لم اجوع احداً . لم اُلبك احداً . لم اقتل ولم آمر احداً بالقتل . لم
 اختلس قربان الهياكل ولا حلوليات النقدمة التي تقرب للآلهة . لم انتزع عن الموتى لفائفهم
 ولا غصبتهم مؤنهم . لم اربح ربحاً حراماً . لم اغش كيل الحبوب . لم اخدع احداً ببيعه
 حلياً معشوشه . لم امرق شيئاً من الحقول . لم اتلاعب بالميزان . لم انتزع اللين من افواه
 الاطفال . لم اقص البقر المقدسة في المروج . لم انصب الحبال للعصافير المقدسة . لم اصد
 الاممك المقدسة في بركها . لم ارفض الماء حين نزوله في حينه . لم اقطع مسيل ماء في
 جريانه . لم اطفى النار المقدسة في اوقاتها . لم اهن احداً من الآلهة في ابان احتفالاته .
 انا نقي . انا نقي . انا نقي »

فاذا وجد قلبه خفيفاً وكان نقياً كما يقول اذن له بالدخول الى اماكن الساعة السابعة
 حيث فردوس بالوفيقم هناك على الفلاحة والزراعة رمزياً ويكون له عبيد يخدمونه فكان
 المعيشة في تلك الحياة مشبهة للمعيشة في هذه . واذا كان غير نقي طرد بقساوة فنتابه
 المصائب حتى ياتي وقت خراب العالم والفناء النهائي .

فمن ذلك يتضح ان المصريين ما كانوا يعتقدون بخلود النفس ولكنهم كانوا يعتقدون
 بحياة ثانية وشتان بين الامرين . وقد انكر عليهم الذين جاؤوا بعدهم تعدد الآلهة عندهم
 حتى انهم هموا كثيراً من حيواناتهم كالقطط والكلاب ويروى ان كل قبيلة بل كل
 عيلة كان لها اله خاص بها . ولكن مما يحو ذلك انهم كانوا اسبق الناس الى التوحيد
 اي الاعتراف باله واحد . يشهد بذلك ما وجد مكتوباً في آثار ثيبة الباقية من العصر
 الشبي فان الاله عمون لقب فيها « الاحد الواحد وسيد الابدية » ولكن هذه التعاليم
 كانت محصورة بين الكهنة اما الشعب فانه كان يجهلها لانشغافه بتعدد الآلهة

* (الاباء اليسوعيين في تونس) * عزم الاباء اليسوعيين بعد ما عقدوا النية عليه
 من الخروج من فرنسا على انشاء مدرسة زراعية كبرى في تونس وقد قدروا نفقاتها
 بمليون فرنك

صفحة تاريخية مجهولة

﴿ بسمارك وتزويره لتغراف ايمس ﴾

« ونظراً لأهمية هذه الحادثة التاريخية استميج القراء عذراً في تلخيصها
فكاهة وإفادة

« قال بسمارك بعد ان ذكر كدره من تساهل ملكه نحو سفير فرنسا « عزمتُ على
الاستقالة من مناصبي فدعوت المارشال مولتك وروون لمناولة الطعام عندي في (١٢ تموز)
وبينا نحن على الطعام اذ جاءني ساعٍ واخطر في بوصول رسالة برقية بالارغام مضادة من
مستشار الملك الخاص في ايمس فامرت بجلها سريعاً . ثم جاءني بها فلما قرأتها على مسامع
ضيقني علت على وجهيها ملامح الكآبة من ضعف الملك نحو سفير فرنسا بعد ان تجاوز الحد
في فتحه وانقطاعا عن الطعام والشراب . اما انا فاستعدت قراءة تلك الرسالة مراراً وكان
الملك غليوم قد اذن لي بنشرها . فأخذت للحال قلماً وحذفت منها جملاً وابقيت اخرى
فانقلب تأثيرها انقلاباً تاماً ثم التفت الى المارشال مولتك والقيت عليه مسائل مختلفة لتعاق
بشقته بجيوشنا ونتيجة الحرب ومهماتنا واذا كان الاولى بنا التربص والامهال ريثما نكمل
استعدادنا . فاجابني للعال بانه اذا كان لا بد من الحرب فالاولى بنا السرعة اذ كل ملاحظة
تجبر علينا اخطاراً . فقرأت حينئذ عليها الرسالة منقحة فابرت اسرتها وقالوا (قد تغيرت
نعمتها الآن) فقلت (ستصل هذه الرسالة الى باريس قبل نصف الليل وسيكون تأثيرها
على الثورة الفرنسي كتأثير الراية الحمراء ونجاحنا يتعلق كثيراً بوقع اشهار الحرب علينا
اذ يهمنا ان تبدأ فرنسا بالعدوان حتى نعلن لاوروبا باننا لسنا الا مدافعون . . .)
فسرّ مولتك بذلك سروراً عظيماً ثم ارسل نظره الى السماء باسماء وصاح (اذا قدر لي البقاء
لاقود جيوشنا في هذه الحرب فالى جهنم النار هذه العظام) وفرغ صدره بكلتا يديه .
فيظهر جلياً ان هذا الداهية هو الذي رغب في الحرب وهو الذي هيأها وحمل
فرنسا على اشهارها . ولو لم يعترف بتزويره هذا لظل المؤرخون ينسبون السبب
في ذلك الى فرنسا «

(من كتاب حقوق الملل ومعاهدات الدول)

باب التربية والتعليم

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والأقدار من اخص وظائف المدرسة

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظاماً وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

مدرسة محمد علي الصناعية

* في الاسكندرية *

اذا لم تشر المجالات والجرائد اخبار المشروعات الكبيرة النافعة التي تقوم في البلاد لم نعلم بكل ما عليها من الواجبات ولذلك نخصص هذا الباب في هذا الفصل للكلام على المدرسة الصناعية التي عازمت « جمعية عروة الوثقى » في الثغر على انشاؤها تذكراً لمرور مائة عام على دخول المغفور له محمد علي باشا جدد الاسرة الخديوية الكريمة الى مصر . ولقد رأس لجنة الاكتتاب لهذا المشروع المفيد بناءً على امر الجناب الخديوي العالي حضرة الوزير الخطير دولابور رياض باشا فارسل الى مائة وتسعين رجلاً من افاضل القطر والثغر رسائل يدعوهم فيها دولته الى الاجتماع في منزله للشروع في الاكتتاب . وهذا ما جاء في تلك الرسالة من الاشارة الى المغفور له محمد علي « ما اجدر محمد علي العظيم بتذكاري بجمه له المصريون تخليداً لذكرك . فانه اسس حكومة منتظمة بعد الفوضى ووطد الامن في انحاء البلاد واعز مصر بمنعة الحصون والقلاع وقوة الجيش والاساطيل وسعى في اعلاء مكانتها بنور المعارف والعلوم وانما ثروتها بتحسين الزراعة وحماية تجارتها وحياء الصناعة فكان ذلك اول عهدنا بالمدينة والعمران واصبحت مصر بفضلها من ثغورها الى ابواب سنار دار امن ونعيم ورخاء »

ولقد اجاب دعوة دولته نحو مائة رجل من الكرام فلي عليهم (بروجرام) المدرسة المنوي انشاؤها ويؤخذ منه انها ستنشأ في بناء الترسانة الذي كان سجنًا في الثغر . وسيكون عدد تلامذتها ٣٠٠ تلميذاً أكثر من الواحد من ١٢ الى ١٨ سنة ومدة الدرس ثلاث سنوات ونفقات المدرسة السنوية ١٥٠٠ جنيه تؤخذ من تبرعات المتبرعين وثن المصنوعات التي تصنعها ورش المدرسة .

اما نفقات التأسيس فهي كما يلي
خمسـة آلاف جنيه لاصلاح المكان الذي كان سجنًا في راس التين لجعله مكانًا للمدرسة
اي هدم الغرف الحالية وبناء خمسـة عشر ورشة بسقائف واربع قاعات للدروس والرسم
ومخزن كل ذلك على مساحة من الارض قدرها ٢٥٠٠ متر مربع بسعر ٢ جنيه في المتر وثلاثة
الاف جنيه ثمن آلة تجارية وجميع العدد اللازمة لاداره الورش وتركيبها وخمسمائة جنيهه
لشراء مواد اولية لادارة الاعمال وبضاف الى هذا المبلغ قيمة رواتب العمال الواجب استخدامهم
في الورش والدروس عن السنة الاولى ونفقات الصيانة والادارة وقدرها كلها الف
وخمسمائة جنيه فالجملة عشرة الاف جنيه

وستنشأ في المدرسة خمس عشرة ورشة او معمل . (١) الحدادة الكبرى (٢) الحدادة
الصغرى (٣) البراده (٤) سبك المعادن (٥) الخراطة (٦) النجارة الكبرى (٧) النجارة
الصغرى (٨) نجارة العربات (٩) النحاسية (١٠) الحفر (١١) السنكرية (١٢) نقش المباني
(١٣) الكندرجية (١٤) التززية (١٥) التجليد

فنحن نسأل الله ان يأخذ بيد دولة الوزير رياض وجمعية عروة الوثقى لانتقام
هذا المشروع المفيد . ونتمنى ان يقتدي السوريون باخوانهم المصريين فيقدموا على
ما اقدموا عليه وبالله التوفيق .

باب الاخبار العلمية

﴿ كيف تتزاوج النحل ﴾ صدر في فرنسا في هذه الاثناء كتاب . موضوعه طبائع
النحل لمؤلفه المسيو مترلينك . وقد جاء فيه وصف جميل لطريقة تزوج النحل وهذه خلاصته
باختصار مجرد عن الغزل . ان ملكة النحل العذراء قبل خروجها اول مرة من النقيز تمر
نفسها على الطيران حوله . ثم تندفع في الطيران صاعدة في الفضاء . فلما يراها ذكور النحل
ويتنسمون ريح جمالها يطيرون اليها من كل جانب فتجد الملكة حينئذ في الصعود في
الفضاء جاعلة نفسها جائزة للذي يسبق رفاقه اليها فكانها بذلك تمنح نفسها لكثرهم قوة
طبقًا لناموس الانتخاب الطبيعي . وكما صعدت في الفضاء تناقص تحتها عدد الذين يطاردونها
ويطلبونها . ولا تزال واياهم على هذه الحال حتى يدركها اقوام في اعالي الجو فيبعد اللقاح

يسقط الذكر ميتاً على الارض من ذلك العلو الشاقق لاتمامه النظام الطبيعي وتعود المملكة حاملاً الى قديرها

* علو الغيم وسرعته * فاسوا في كندا ارتفاع الغيم عن الارض في عام ١٨٩٧ وسرعته في الفضاء ونشروا نتيجة القياس في هذا العام فأتضح منها انه يبلغ في الشتاء متوسط علوه عن الارض ٩٩٧٨ متراً ومتوسط سرعته مسوفاً بالريح ٤٢ كيلومتراً في الساعة وفي الصيف يبلغ متوسط علوه ١٠٩٠٠ متر ومتوسط سرعته ٦٤ كيلومتراً في الساعة . وبلغ اعلى ارتفاعه ١١ الف متر واشد سرعته ١٦٠ الى ٢٤٠ كيلومتراً في الساعة وذلك في شهر يونيو

* حفظ اللحم من الفساد * يحفظون اللحم من الفساد في فرنسا بغطه باللبن وتركه فيه مدة اسبوع فيبقى سالماً من كل فساد ويؤكل بعد ذلك كأنه ابن ساعته . اما اللبن الذي يُنقع فيه فيغذون به الحيوانات التي يربونها كالخنازير وغيرها

* عادة عماد خط الاستواء * كان البحارة في الزمن القديم يرهبون اجتياز خط الاستواء لانهم كانوا يظنون ان البحار التي تليه ماهولة بالابالسة والشياطين . وبعضهم كان يتوهم هذا الخط سوراً قائماً في البحر يمنع السفن من المرور فيه . ولكن لما اجتازه الاوربيون في القرن السادس عشر بطل خوفهم منه واستبدلوه بعادة لا تزال شائعة الى اليوم وهي ما يسمونه عادة العماد عند الوصول الى خط الاستواء . فان السفينة عند دنوها من « موقع » هذا الخط يجتمع بحارها ويفتشون فيها فاذا وجدوا بينهم مسافراً او بحاراً لم يسبق له انه اجتاز خط الاستواء يأخذونه فيقصون شعره ويحفلون بتعميده بالماء احتفالاً في غابة البهجة صرفاً لغضب نبتون اله البحر عنه . فيلاقي ذلك الدخيل المسكين عناء في ذلك الاحتفال والعماد . اما المسافرون فانهم يشترون انفسهم بالمال فيتركهم البحارة وشأنهم . ولقد مر المرشال والدرسي بخط الاستواء في عودته من الصين على الباخرة « جيره » فاكشفوا باعطائه لقب « اوجير » وقد احتفلوا بمروره دون تعميده

* حفظ العنب اشهرًا * اذا شئت حفظ العنب اشهرًا عديدة نخذ عناقيده ونقّ منها الحبوب الفاسدة والتي دب الفساد فيها ثم خذ كل حبة صحيحة على حدة دون فرطها من العنقود وغلف عنقها بقشور من شمع منعاً لعصير العنب فيها ان يتبخر منها ثم ضع العنقود

مقلوباً في زجاجة وافتقده في كل يومين او ثلاثة لتنزح منه الحبوب التي يدب فيها الفساد .
فيبقى أكثره صحيحاً مدة طويلة

﴿ تبريد مياه الشرب في الصيف ﴾ ذكروا لتبريد مياه الشرب في الصيف طريقة غريبة . وهي ان تاخذ زجاجة مملوءة ماء وتضعها في صحفة عميقة مملوءة ماء ايضاً ثم استر الزجاجة بقطعة من النسيج المبلل ودع اطراف النسيج تسقط في الصحفة . وبعد ذلك ضع الصحفة فيها الزجاجة في الشمس فيبرد الماء الذي في الزجاجة . وحبذا لو جرب احد القراء هذه الفكاهة

﴿ غرائب الصاعقة ﴾ نقدم لنا الكلام على غرائب الصاعقة وقد نزلت في الشهر الماضي صاعقة في منزل في بانير دي ييجور فصارت تخرج في فضاء الغرفة كطير يطلب منفذاً تخف صاحب المنزل وفتح لها نافذة فاندفعت وخرجت منها دون ان تقتل احداً ولكنها اطلقت بندقية كانت محشوة وقلبت اثاث المنزل رأساً على عقب

﴿ التجارة بين انكلترا وفرنسا ﴾ بلغت صادرات البضائع من انكلترا الى فرنسا في الاشهر الستة الاولى من هذا العام ٣٤٠٢٥٥٠٠٠ فرنك مقابل ٣٥٠٩٢٩٠٠٠ في مثل هذه المدة من العام الماضي . وبلغت الصادرات من فرنسا الى انكلترا في تلك المدة ٦٦٨٠٩١٠٠٠ فرنك مقابل ٥٨٩٥٠٥٠٠٠ فرنك في مثل تلك المدة من العام الماضي فتكون تجارة انكلترا مع فرنسا في نقصان بينما تجارة فرنسا مع انكلترا في ازدياد . ويتخذ بعض الساسة هذه الارقام كفيلاً بضمان السلم بين البلادين لان فرنسا اذا حاربت انكلترا خسرت معاملها اكثر من مليار فرنك في العام وفي ذلك خراب قسم كبير من صناعاتها

﴿ اكابر الاغنياء في العالم ﴾ هم عشرة اولهم رجل انكليزي يدعى المستر ت صاحب محل وارنر وشركائه في لندن فان ثروته بلغت مليار فرنك ونصف وهو يملك نصف المعادن في افريقيا الجنوبية . وثانيهم لي هنغ شغ السياسي الصيني المشهور فانه يملك ايضاً مليار فرنك ونصفاً ولكنه لا يظهر الغنى كثيراً خوفاً من سطو الحكومة الصينية . فاكبر اغنياء العالم اذا انكليزي وصيني . ثم يأتي بعدهم المستر روبنسن الانكليزي وثروته تبلغ مليار فرنك ثم المستر ركنر الاميركي وثروته مليار ونصف ثم المستر استور الانكليزي ايضاً والبرنس ريميدوف الروسي وكل واحد منها يملك مليار فرنك . ثم صاحبنا اندريا

كارنجي الذي يوزع الآن على المدارس والمكاتب ثروته التي كانت بالغة بمليار فرنك ولم يبق له منها سوى ٨٠٠ مليون فرنك . ثم مورغان وندربليت وركفيلد (غير الذي تقدم ذكره) وهم يملكون نحواً من ثمانمائة مليون فرنك . ومما يروى ان جميع هؤلاء الاغنياء ضعاف المعدة قليلو القابلية للطعام

* ما اكلته باريز في مدة المعرض * احصي ما استهلكته باريز في شهور المعرض فبلغ عشرين مليون كيلوغراماً من الزبدة والمقانيق و٦١٤ مليون بيضة و٤٠ مليون كيلومن السمك و٢١٤ مليون كيلو من اللحم و٨ ملايين كيلو من الجبن . وقد اغرقت هذه المقادير الهائلة بخمسة ملايين هيكٲوليتراً من الخمر

باب النقيظ والانتقاد

* حقوق الملل ومعاهدات الدول *

تأليف جناب الامير (امين ارسلان) فصل الدولة العلية المجتزال في بروكسل

عزم حضرة الكاتب المشهور الامير امين ارسلان فصل الدولة العلية العثمانية الجنرال في بروكسل على سد فراغ في اللغة العربية . فانه اعلن عزمه على تأليف كتاب موضوعه « حقوق الملل ومعاهدات الدول » وقسمه الى اربعة اقسام « الاول في المبادئ الاساسية في انشاء الدول وما هي حقوقها وواجباتها والثاني في الاستيلاء والاستدراك والابحار والانهار والثالث في العلاقات السياسية بين الدول وواجبات الملوك والسفراء والوزراء والقناصل والرابع في الاختلافات وطرق حلها والحرب برّاً وبحراً »

وقد بدأ بالقسم الاخير لمناسبة حرب الترانسفال فنشر بعضه في مجلة الهلال ثم جمعه على حدة فجاء كتاباً شاملاً كل ما تهتم معرفته من شروط الحرب وشرعيتها وحقوق المتحاربين وواجباتهم وكل ما يتعلق بالحرب وفروعها . وهو مطبوع في مطبعة الهلال ويطلب من مكتبته فنتش على حضرة مؤلفه الفاضل ونرجوان يعود الى عالم الاقلام بعد انقطاعه عنه لانه من الكتاب الذين يشعر الجمهور بغياهم وباسف له

* رسائل اخوان الصفاء *

بين الحيوان والانسان

نشرت مطبعة دار الترقی في العاصمة رسائل اخوان الصفاء وهي محاورات ومناظرات بين الحيوان والانسان منها شكایة الحيوان وجور الانسان وكيفية استخراج العامة امراء الملوك وعجائب التحل وما خص بها من الكرامات وحسن طاعة الجن لرؤسائهم وملوكهم . وقد جاء في مقدمتها انها « وان كان ظاهرها الخرافة والفكاهة في لفظ عذب طلي الا ان باطنها الحكمة والموعظة الحسنة في معنى دقيق خفي » فنشني على حضرة ناشرها وننتی ان تحف اللغة العربية بغيرها من الآثار المفيدة . وهي تطلب من المطبعة المذكورة في العاصمة

* مفتاح المحادثة *

في اللغتين العربية والبرازيلية

وضع حضرة يوسف افندي الخاني كتاباً صغيراً في اصول اللغة العربية والبرازيلية تسهلاً للمهاجرين الى البرازيل وقد جمع فيه الكلمات الغالب استعمالها هناك فاذا تعلمها المهاجرون سهل عليهم الاخذ والعطاء ولم يقعوا في المصاعب التي يقعون فيها احياناً لجهلهم لغة البلاد كل الجهل . وهي خدعة نافعة فنشني على حضرة واضع الكتاب وهو يطلب من ادارة رصيفتنا جريدة الاحوال في بيروت وثمنه فرنكان

* جريدة اتحاد العمال *

اعلنت ادارة جريدة الثريا الغراء عزماً على اصدار جريدة عنوانها اتحاد العمال في القطر المصري وغايتها « ان تفسح لهم مجالاً لنشر ما يلاقونه من ارباب المعامل من الظلم والاجحاف والاستبداد » ف نحن ننتی لادارة الثريا التجاح في هذا المشروع لان فيه خدمة نافعة للعمال لا سيما اذا ثبتت الجريدة في دفاعها عن حقوقهم . ولقد آن ان ترتفع في بلاد الشرق اصوات بالدفاع عن الطبقات الضعيفة

* مبادئ جغرافية * اصدر جناب رشدي افندي كمال من مستخدمي السكة الحديدية في العاصمة الجزء الثاني من كتابه تنوير الاذهان وهو شامل لمبادئ الجغرافيا طبقاً لبروجرام نظارة المعارف وفيه رسوم الاشياء التي يتكلم عنها كالجبل والبركان والراس والمضيقي وغيرها فنشني على اجتهاده ونشاطه

* الحكيم الطيار * وهو رواية ادبية تمثيلية لمر بها جناب ايلي افندي عذاه اهداها الى جناب مخائيل افندي منصور وتطلب من حضرة العرب في العاصمة وثمنها ٥ غروش صاغ

الفيلسوف تولستوي

* رسمه الجديد * نشرنا في احد الاعداد الماضية رسماً للفيلسوف الكونت لاون تولستوي وبما ان ذلك الرسم مأخوذ عنه منذ عدة سنين فقد رأينا ان ننشر للقراء آخر رسم لهذا الفيلسوف وهو مرسوم فيه بملابس الفلاحين الروس التي لا يلبس اليوم سواها



* الفيلسوف تولستوي *

ولقد قرأنا في رصيفتنا جريدة المناظر الغراء التي تطبع في البرازيل فصلاً شائقة عن هذا الفيلسوف منها فصل نشرته في العدد ١٨٨ بعنوان « المسيحي الوحيد » تربد تولستوي فقالت ما نصه

« وفلسفة تولستوي في المسيحية ليست بنت هذه الشهور الاخيرة التي اذاعت فيها اسمه حوادث الطلبة الاخيرة في روسيه ولكنها اساس ما كتبه تولستوي منذ قيل انه الكاتب المجيد لا منذ قيل انه الفيلسوف الممتاز . ولقد ادرك اكثر المطالعين في كل البلدان المرنقية نعاليم الرجل على حقيقتها وما راينا الى الآن كاتباً له شيء من حرية الفكر تعرض لها تعرضاً حاول ان ينفي به صحتها . وقد شعرت « مجلة الجامعة » بان من واجباتها كمجلة اجتماعية ان تنشر على قدر الامكان اشياء من فلسفة تولستوي فكانت هي سيلة المطالعين العرب الوحيدة الى تفهم افكاره وبقيت المجالات والجرائد الاخرى متغافلة حتى انتبه الهلال ولكنه حاول شيئاً لم يحاوله احد قبله . فقد اورد الهلال مبادئ تولستوي ولما انتهى الى وجوب اطلاق الارض قال انه لا يدوم لانه مخالف للعدل العام واذا ابطالنا حق التملك فلا يمضي زمن حتى يتغلب القوي على الضعيف فنعود الى ما كنا فيه » هكذا يقول الهلال ويسوّنا انه وهو مجلة معتبرة في الصحافة العربية لم يفهم فلسفة تولستوي من جهة وغالط نفسه من الجهة الاخرى » الخ

فنحن نقول للرشيصة ان الهلال لم يقصد بما قاله الرد على تولستوي لانه اعلم الناس بان ذلك عبث وانغو ولكنه قصد مقاومة الجامعة انتصاراً لبعض الكتاب والبسطاء الذين لم ترفعهم اقوالها عن تولستوي اول ظهورها . وهذا موقف لانرضاه لصاحبنا لا سيما وانه لخص فلسفة تولستوي عن الجامعة حرفاً ومعنى كما نهينا كثيرين من القراء فكيف يستحل ان يشرب من بشر ثم يرشقه بحجر . ومع ذلك فنحن نسامحه لا على هذه فقط فانها الصغيرة وليكننا نسامحه على غيرها ايضاً

ولقد شفي تولستوي من المرض الذي انتابه حديثاً كل الشفاء وقال لبعض زائريه انه كان يرجو ان يموت لان الموت راحة وان المرض قد جعله يشعر بوجود حياة ثانية احسن من هذه الحياة . ثم قال ان الذين لا يمرضون في حياتهم يكونون شرسي الاخلاق جفافة الطباع والمراة التي لا تمرض بل تكون دائماً في صحة تامة انما هي وحش ضار . وكانت امراته الكوننسة تولستوي سامعة فالتبسمت وحوالت وجهها

وقد فرغ تولستوي من كتابة كتاب جديد عنوانه « الطريقة الوحيدة » ذكر فيه الطريق التي يجب ان يمر فيه التمدن المسيحي والا سقط كما سقط تمدن الامم المقدمة . ويقال انه ابلى كتبه وسنلخص هذا الكتاب للقراء حال صدوره وربما صدر في اول الشتاء القادم